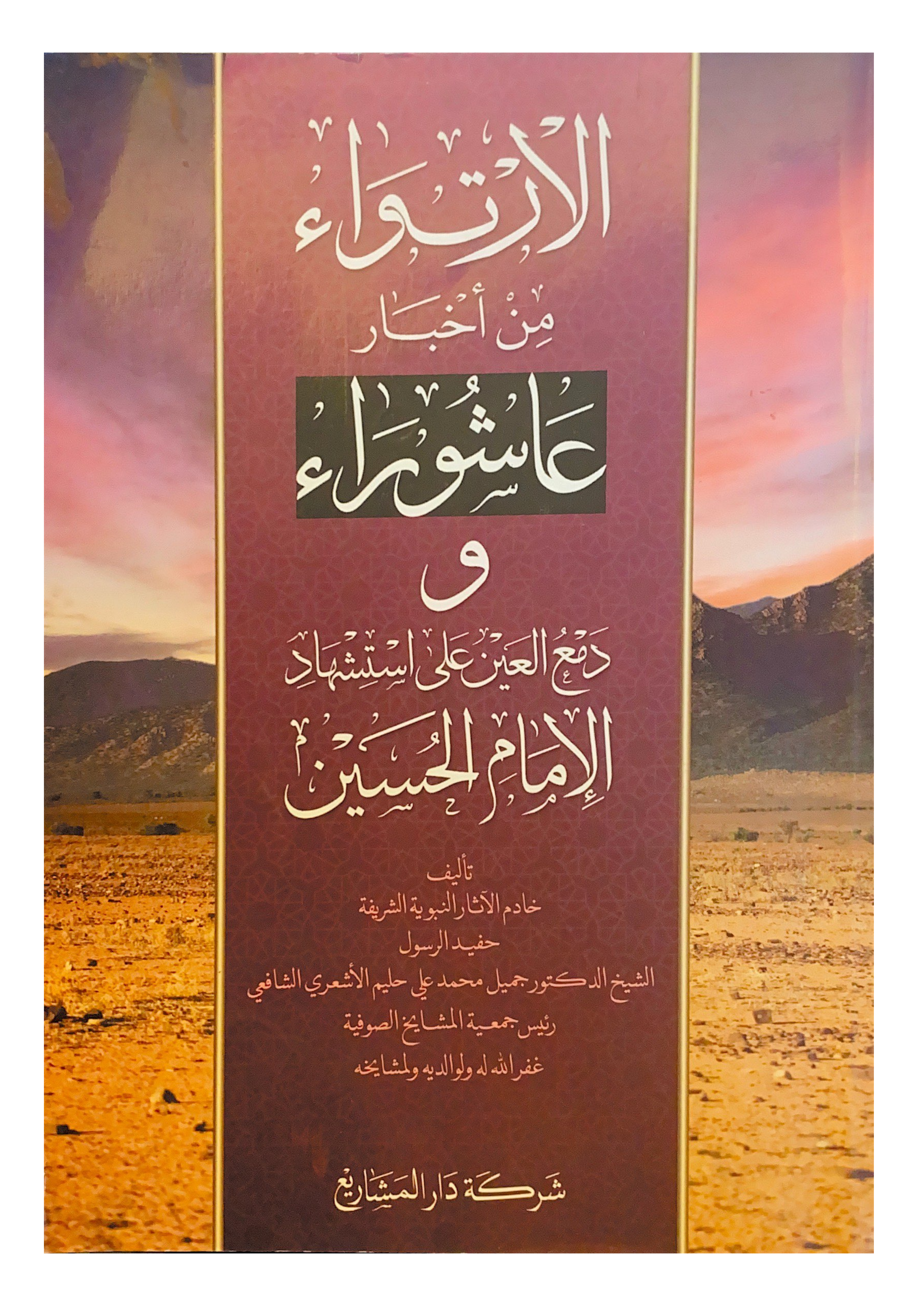


الارتواء
من أخبار
عاشوراء
و
دمع العين على استشهاد
الإمام الحسين
تأليف
خادم الآثار النبوية الشريفة
حفيد الرسول
الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي
رئيس جمعية المشايخ الصوفية
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
شركة دار المشاريع

الارتواء

من أخبار

عاشوراء

و

دمع العين على استشهاد

الإمام الحسين

تأليف

حفيد الرسول ﷺ

خادم الآثار النبوية الشريفة

الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

شركة دار المشاريع

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيم الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شىء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شىء علمًا وأحصَى كلّ شىءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسأَلُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى

كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَوَّرُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾.

نقولُ جازمين معتقِدين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآنَ على ما عليهِ كانَ بلا مكان.

تنزَّه ربِّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰـه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثِينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال (جسمٌ لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا وليس شخصًا، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا،

لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزَّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام، هو صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾، ومن زعم أن إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،

وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه الأزلي وأن الإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعيننا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة الأولى
في الاتعاظ والاعتبار

الحمد لله مكوّر الليل على النهار، والصلاة والسلام على رسول الله المختار، وعلى ءال بيته الأبرار وأصحابه الأطهار، أما بعد ...

فمن تسلية أهل المصائب أن ينظر العبد بعين بصيرته، فيعلم أن مرارة الدنيا والصبر عليها كما أمرنا الله تعالى هي بعينها حلاوة في الآخرة يقبلها الله تعالى، وحلاوة الدنيا في معصية الله سبحانه هي بعينها مرارة في الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك، فإن خفي عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق ﷺ: **«حُفَّتِ الجنّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النّارُ بالشّهوات»**[1]، وكذلك قوله في الصحيح: **«يؤتى بأنعمِ أهلِ الدّنيا من أهلِ النّار يومَ القيامة فيصبغ في النّار صبغة، ثم يقال: يا ابن ءادم، هل رأيت خيرًا قطّ؟ هل مرّ بك نعيم قطّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ. ويؤتى بأشدّ الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنّة فيصبغ صبغة في الجنّة، فيقال له: يا ابن ءادم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدّة قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ، ما مرّ بي بؤس قطّ، ولا رأيت شدة قط»**[2] اهـ.

وهذا المقام تتفاوت فيه عقول الناس وتظهر فيه حقائق الرجال، فأكثر أهل زماننا يؤثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يتحمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذلّ ساعة لعزّ الأبد، ولا محنة ساعة لعافية الأبد، فإنّ الحاضر عنده شهادة، والمنتظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكم، فتولّد من ذلك إيثار العاجلة وعدم ذكر الآخرة، وهذا حال النظر الواقع على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب حدثنا عبد الله بن مسلمة، رقم (٧٣٠٨). ورواه الترمذيّ في سننه كتاب صفة الجنة عن رسول الله، ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم (٢٥٥٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة. رواه أحمد في مسنده، (٣/ ٢٠٣).

ظواهر أكثر أهل زماننا في أوائل أمورهم ومبادئها، وما ذاك إلا لحبّهم هذه الحياة الدّنيا. قال وهب بن منبه: «قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: «**بحقٍّ أقول لكم: إن أشدَّكم حبًّا للدنيا أشدّكم جزعًا على المصيبة**»[1] اهـ.

قال ابن الأثير في سبب تسمية كتابه (بالكامل في التاريخ)[2]: « وقد سمّيته اسمًا يناسب معناه، وهو: الكامل في التاريخ. ولقد رأيت جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدّراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ويلغيها، ظنًّا منه أن غاية فائدتها إنّما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللبّ فأصبح مخشلبًا جوهره، ومن رزقه الله طبعًا سليمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة، وها نحن نذكر شيئًا ممّا ظهر لنا فيها، ونكل إلى قريحة النّاظر فيه معرفة باقيها.

فأمّا فوائدها الدنيويّة فمنها: أنّ الإنسان لا يخفى أنّه يحبّ البقاء، ويؤثرُ أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري أيّ فرق بين ما رءاه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم.

ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنّهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجَوْر والعدوان ورأوها مدوّنةً في الكتب يتناقلها الناس، فيروبها خلف عن سلف، ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذّكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذّكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالهم درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من

(١) الزهد، أحمد بن حنبل، (ص/ ٢٠).
(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (١/ ٢ - ٣).

معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرّات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرًا.

ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلاّ وقد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يقتدى به أهلًا، ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا: [هزج]

رأيـــت الـعـقـل عقلينِ	فـمـطـبـوعٌ ومـسـمـوعُ
فــلا يـنـفـع مـسـمـوعٌ	إذا لم يــك مـطـبـوعُ
كــما لا تـنـفـع الـشـمـسُ	وضـــوء الـعـين ممـنـوعُ

يعني بالمطبوع العقل الغريزيّ الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزيّ من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلاّ فهو زيادة في عقله الأوّل.

ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغيةً إليه، والوجوه مقبلةً عليه، والقلوب متأملةً ما يورده ويصدره، مستحسنةً ما يذكره.

وأمّا الفوائد الأخرويّة: فمنها أنَّ العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلاً يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري كم رأى هذا القائل قارئًا للقرءان العزيز، وهو سيّد المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولعة بحبّ العاجل.

ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق، فإنَّ العاقل إذا رأى أنّ مصاب الدنيا لم يسلم منه نبيّ مكرَّم، ولا مَلِك معظّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنه يصيبه ما أصابهم، وينوبه ما نابهم.

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرءان المجيد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، فإن ظنّ هذا القائل أنّ الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلبًا عقولًا ولسانًا صادقًا، ويوفقنا للسداد في القول والعمل، هو حسبنا ونعم الوكيل» اهـ.

ويقول الجبرتـيّ[2]: «اعلم أنّ التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم، وموضوعه: أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم، والغرض منه: الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت، وفائدته: العبرة بتلك الأحوال والتنصّح بها، وحصول مَلَكَة التجارب بالوقوف على تغلبات الزمن ليتحرز العاقل عن مثل أحوال الهالكين، من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويتجنب سوء أقوالهم، ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي» اهـ. وقال الشّاعر[3]: [مجزوء الرمل]

اعـتـبر يـا أيّهـا المغـ ـرور بـالـعـمـر المـديـدِ
أنـا شـدّاد بـن عـادٍ صاحب الحصن المشيدِ

---

(1) سورة ق، الآية: ٣٧.
(2) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، (١/ ٦).
(3) زاد المسير، ابن الجوزيّ، (٩/ ١١٦ - ١١٧).

وأخـــو الــقــوّة والــبــأ (م) ســاء والمــلــك الحــشــيــدِ
دان أهــل الأرض طــرًّا لِيَ مــن خــوف الــوعــيــدِ
وملكت الــشّرق والغرب (م) بــســلــطــان شــديــدِ
فــأتــى هــود وكــنّــا في ضـــلال قــبــل هــودِ
فــدعــانــا لــو قــبــلــنــاه (م) إلى الأمـــر الــرّشــيــدِ
فــعــصــيــنــاه ونــــادى مــا لــكــم هــل مــن محــيدِ
فــأتــتــنــا صــيــحــة تهــوي (م) مـــن الأفـــق الــبــعــيــدِ
فــتــوافــيــنــا كــــزرعٍ وســـط بــيــداء حــصــيدِ

يقول ابن خلدون[1]: «اعلم أنّ فنَّ التاريخ فنّ عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا».

(١) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (١/ ٩).

في ما مضى من العبر

وقد قصّ القرءان علينا بعض مصارع الأمم الغابرة لنقرأ سيرهم، فنحذر ما أحل بهم العذاب، ولكي نرى ما ينتظر الأمم التي تقع في أمثال هذه المعاصي والآثام، وجاء هذا التحذير في كثير من ءايات القرءان الكريم، ومنها: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[1]. قال القرطبيّ في تفسيرها[2]: «ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم أنبياءهم» اهـ.

وقال الطبريّ[3]: «وقد أهلكنا أيّها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونًا كثيرة كانوا من جحود ءايات الله والكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم لأنّه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قومًا بما لا يعذب به ءاخرين أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها ءاخرين» اهـ.

وقد دلّنا الإسلام إلى طريقين في الاهتداء إلى أصلح الأمور وأنفعها وأصوبها في ديننا ودنيانا: فالأمر الأول يتمثّل بأوامر الشرع ونواهيه، والثاني بالاعتبار بحال الآخرين سواء الأمم السابقة أو حتى في ما يحصل لهذه الأمّة عبر تاريخها.

وقد أكّد الكتاب والسّنة على النّظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة، بل شدّد على ذلك، ولهذا يرى علماء الأمّة أنّ إهمال دراسة التاريخ سببًا من أسباب الجهل بحقيقة الشريعة الإسلامية، وسببًا من أسباب وقوع الأمة في المآسي والمحن، لعدم الأخذ بتجارب من سبق من الأمم.

وانطلاقًا من ذلك المطلوب الشرعيّ سنحاول أن نتعرف على الأهمية

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦.

(٢) تفسير القرطبيّ، القرطبيّ، (٦/ ٣٩١).

(٣) المرجع نفسه، (١٤/ ٥٣٣).

الشرعية في دراسة التاريخ وأهمية الاعتبار بحال الأمم السابقة، وما وقع لها من الفتن والمهالك بسبب أعمالها، ومدى انعكاس ذلك على الأمة الإسلامية.

وها نحن في بحثنا هذا سندخل في الاعتبار من الباب العريض لنستوفي ما جاء في ركن مهم في أيام الناس كان في الأساس مضيئًا في التاريخ وهو يوم عاشوراء المعظّم، ولكن حادثة مقتل الإمام الحسين عليه السلام فيه، حجبت السعادة والسرور الذي كان هذا اليوم يحمله، ففي مثله في الأزمنة القديمة نجا العديد من الأنبياء وأقوامهم من الأعداء والأشرار وغيرها من المناسبات السعيدة، وها هو يوم عاشوراء يعود كل سنة لكن يأخذ الكلامُ الحيّزَ الكبيرَ حول الفاجعة التي أدمت القلوب وأبكت العيون لهول تفاصيلها ومجرياتها وهي مقتل الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وقتله وذبحه والتمثيل بجثته وهو حفيد أعظم المرسلين ﷺ وريحانته الطيبة، وفي هذا البحث سنفرد الكلام على هذه الفاجعة، وقبلها سنعرّج قليلًا إن شاء الله تعالى للتكلم على بعض الحوادث التي جرت في عاشوراء طيلة عقود عديدة.

المقدمة الثانية
عاشوراء في التاريخ

من شعائر دين الله تعالى أن نعظّم أيامًا جاء الشرع الكريم بتعظيمها، فيوم الجمعة هو أفضل أيّام الأسبوع، وأفضل الليالي هي ليلة القدر، وأفضل أيام السّنة هو يوم عرفة، ومن الأيام التي عظّم اللهُ سبحانه وتعالى يوم عاشوراء.

عاشوراء، هو العاشر من المحرّم، يوم خصّصه الله تعالى بأن قَبِلَ فيه توبة سيدنا ءادم عليه السلام بعد أن ارتكب ذلك الذّنب. حيث إن سيدنا ءادم عليه السلام كان أكل من شجرة من أشجار الجنة قد نهاه الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[1]. في هذا اليوم تاب الله على ءادم: يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، وأخبر عنه وعن زوجه أنّهما قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3]، وكانت تلك التوبة في يوم العاشر من شهر المحرم أي في عاشوراء.

تنبيه: ذلك الذّنب الذي هو ليس من الكبائر وليس كفرًا ولا هو صغيرة تدلّ على خسة ودناءة، إنما كان معصية من الصغائر التي ليس فيها خسة ولا دناءة ولا ذنب عظيم.

وكذلك في هذا اليوم العظيم عاشوراء رست سفينة سيدنا نوح على جبل «الجوديّ»، بعد أن كانت طيلة شهور تسير فوق ماء ولا يعلم قدر ذلك الماء إلا الله سبحانه وتعالى، كانت تسير من بلاد إلى بلاد، حيث لا يُرى جبال ولا يُرى سهول، ولا يُرى شيء من مخلوقات الله تعالى من الأحياء إلا سيدنا نوحٌ عليه السلام

---

(١) سورة طه، الآية: (١٢١ - ١٢٢).

(٢) سورة البقرة، الآية:٣٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

والذين معه من أهل سفينته من المؤمنين والبهائم التي أمر الله سيدنا نوحًا أن يجعلها على سفينته.

وفي يوم عاشوراء نَجَّى الله سيّدنا إبراهيم من النّار التي ألقي فيها فلم تحرقه، ولم تصبه بأذى ولا حتى ثيابه بل كانت هذه النّار الهائلة العظيمة بردًا وسلامًا على إبراهيم. قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1].

ونجّى الله تعالى سيدَنا موسى عليه السلام والذين ءامنوا معه واتبعوه من بني إسرائيل، حيث كانوا يرزحون[2] تحت حكم فرعون، وكان فرعون الطاغية يضطهدهم، ويستبيح نساءهم ويذبح أبناءهم وهم له صاغرون، حتى أرسل الله تعالى له سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، فازداد فرعون تكبرًا وقال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[3]، وقال في موضع آخر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[4]. فقام سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام وقالا له في وجهه غير خائفين منه: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[5].

ما روي في فضل عاشوراء

قال المناويّ[6]: «روى أبو الشيخ «ابن حبان» في فضائل الأعمال أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ نوحًا هبط من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكرًا لله تعالى، وفيه تاب الله على ءادم، وعلى أمّة يونس، وفيه فُلِقَ البحر لبني إسرائيل، وفيه ولد إبراهيم وعيسى». قال: «وفيه عثمان بن مطر منكر الحديث» اهـ.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٢) أي يضطهدون ويُظلمون من قبل فرعون وأتباعه.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناويّ، (٣/ ٤٥).

وقال المناويّ أيضًا[1]: «ورد **«صوموا يوم عاشوراء»** فإن فضيلته عظيمة وحرمته قديمة **«يوم كانت الأنبياء تصومه فصوموه»** قال ابن رجب: صامه نوح وموسى وغيرهما، وقد كان أهل الكتاب يصومونه، وكذا أهل الجاهلية فإنّ قريشًا كانت تصومه. ومن أعجب ما ورد أنّه كان يصومه الوحش والهوامّ: فقد أخرج الخطيب في التاريخ مرفوعًا أنّ الصُّرَد والطّير صام عاشوراء أي امتنعوا عن الطعام، قال ابن رجب: سنده غريب، وقد روي ذلك عن أبي هريرة» اهـ. وروي عن الخليفة القادر بالله أنّه كان يبعث الخبز للنمل كل يوم فتأكله إلا يوم عاشوراء» اهـ.

وكذلك قال المناويّ[2]: «ورد **«كان - ﷺ - يصوم يوم عاشوراء»** بمكة كما تصومه قريش ولا يأمر به، فلما قدم المدينة صار يصومه **«ويأمر به»** أي بصومه أمر ندب، لأنّه يوم شريف أظهر الله فيه كليمه موسى على فرعون وجنوده، وفيه استوت السفينة على الجوديّ، وفيه تاب على قوم يونس، وفيه أخرج يوسف من السجن، وفيه أخرج يونس من بطن الحوت، وفيه صامت الوحوش، ولا يبعد أن يكون لها صوم خاص كذا في المطامح» اهـ.

كلام جميل لابن الجوزيّ رحمه الله في أمر عاشوراء

وقال ابن الجوزيّ[3]: «مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه وفي صيامه من الفضل العظيم: اعلموا عباد الله، أنّ الله سبحانه وله الحمد والمنّة قد فضّل هذه الأمة بفضائل خصّ بها أمّة محمد ﷺ من سائر الأمم. والحكمة في ذلك أنّ الله تعالى لما جعل أمّة محمّد أقصر الأمم أعمارًا جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل في الجنّة، وهي كالأيام البيض من

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٤/ ٢٨٣).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٥/ ٢٨٨).
(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، ابن الجوزيّ، (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧).

كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير. فهذه أمّة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيرًا، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجرًا كبيرًا، فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات، ويُتَقَرّب فيه بالصدقات وأفعال الخيرات إلى عالِـم الخفيات، وصومه سنّة مستحبّة» اهـ.

وروى ابن الجوزي[1]: «أنه حُكِيَ أنّ أسيرًا كان بأيدي الكفار، وكانوا يعذّبونه، فلما كان في يوم عاشوراء قال: اللهمّ بحرمة هذا اليوم عليك إلّا ما فرّجت عنّي. فلطف الله به وعطّف عليه قلوب الكفار حتى خلّصوه وأفرجوا عنه».

وقيل: «هرب أسير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرَكٌ رفع رأسه إلى السماء قبلة الدعاء، وقال: إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجيني وتحفظني منهم. فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئًا يفطر عليه عند الليل، فنام وأُطْعِم وسُقِيَ في النوم لفضل يوم عاشوراء، فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب».

وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء، فاعرفوا حقّه وارغبوا في فضله، لا حرمنا الله فضله، وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب، وستر علينا ما أَتَيْنَا من القبائح والعيوب» اهـ.

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٦).

قصص نجاة بعض الأنبياء وأقوامهم في عاشوراء

نجاة نوح عليه السلام وقومه من الطوفان في عاشوراء

قال ابن الأثير[١]: « قال ابن إسحاق وغيره: إنّ قوم نوح كانوا يبطشون به عليه السلام فيخنقونه حتى يغشى عليه، وذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له عن الحسن: أن نوحًا أول رسول بعثه الله إلى الكفّار من أهل الأرض وكان قد كثرت فيهم المعاصي، وكثرت الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا، وكان نوح يدعوهم ليلًا ونهارًا، سرًا وعلانية، وكان صبورًا حليمًا، فكانوا يدخلون عليه ويضربونه في المجالس، وكان لا يدعو على من يصنع به بل يدعوهم ويقول : «**ربّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**»[٢] فكان لا يزيدهم ذلك إلا فرارًا منه، حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل إصبعيه في أذنيه لكيلا يسمع شيئًا من كلامه. حتى إذا تمادوا في معصيتهم، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، اشتد عليه البلاء، وانتظر النجل - أي الولد - بعد النجل، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع ءابائنا وأجدادنا مجنونًا لا يقبلون منه شيئًا! وكان يُضرب ويُلفّ ويُلقى في بيته، ويرون أنّه قد مات، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله، فلما طال ذلك عليه ورأى الأولاد شرًّا من الآباء، قال: ربّ قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن تك (تريد أن تهديهم فاهدهم)، وإن يك غير ذلك فصبّرني إلى أن تحكم فيهم، فأوحى إليه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٣]، فلما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

---

(١) الكامل في التاريخ، (١/ ٢٢ - ٢٣).

(٢) معنى اغفر لقومي أي بدخولهم بالإسلام.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٦.

ﭐلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[1]، الى ءاخر القصة، فلما شكا الى الله واستنصره عليهم، أوحى الله تعالى إليه أن: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[2]، فأقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك وجعل يهيّئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلح سواه، وكان قومه يمرّون به وهو في عمله فيسخرون منه، فيقول: ﴿ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾[3]، فيقولون مستهزئين: يا نوح، قد صرت نجّارًا بعد النبوّة؟! وأعقم الله أرحام النّساء وأصلاب الرجال فلا يولد لهم، وصنع الفلك من خشب السّاج وأمره أن يجعل ثمانين ذراعًا وعرضه خمسين ذراعًا وطوله في السماء ثلاثين ذراعًا، وقال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعًا، وطولها في السماء ثلاثين ذراعًا، وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، والله أعلم.

وأمر الله نوحًا أن يجعله ثلاث طبقات: سفلى ووسطى وعليا، ففعل نوح كما أمره الله تعالى، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[4]، وقد جعل التنور آيةً على الطوفان، فلمّا فار التنور، وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء، وقال ابن عباس: كان ذلك تنورًا من أرض الهند، وقال مجاهد والشعبيّ: كان التنور بأرض الكوفة، وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور، وخبّأ الحجر الأسود بجبل أبي قُبيس، فبقي فيه إلى أن بنى إبراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه، ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله، وكانوا أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث ونساءهم. وقال ابن عبّاس: كان في السفينة ثمانون رجلًا، أحدهم جُرْهُمٌ، وحمل معه جسد ءادم عليه السلام، ثمّ أدخل ما

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٠.

أمر الله به من الدواب، وتخلّف عنه ابنه يام، وقيل بل هو كنعان، وكان كافرًا، ولما أمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال: أي ربّ كيف أصنع بالأسد والبقرة؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر؟ قال: الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها، فألقى الحمَّى على الأسد وشغله بنفسه.

وجعل نوح الطير في الطبق الأسفل من السفينة، وجعل الوحش في الطبق الأوسط، وركب هو ومن معه من بني ءادم في الطبق الأعلى، فلما اطمأنّ نوح في الفلك وأدخل فيه كلّ من أمر به، وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم، وحمل معه من حمل، جاء الماء كما قال الله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[1]، فكان بين إرسال الماء واحتمال الماء للفلك أربعون يومًا وأربعون ليلة، وكثر واشتدّ وارتفع وطمى، وغطى نوح وعلى من معه طبق السفينة، وصارت الفلك تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه، وكان في معزل: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] وكان كافرًا، ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾[3]، وكان عهد الجبال وهي حرز وملجأ، فقال نوح: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[4]، وعلا الماء على رؤوس الجبال، فكان على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعًا، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات، فلم يبق إلا نوح ومن معه، وكان بين إرسال الماء وابتلاع الأرض الماء ستّة أشهر وعشر ليال.

قال ابن عباس: أرسل الله المطر أربعين يومًا، فأقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين إلى نوح وسخّرت له، فحمل منها كما أمره الله، فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب، وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من ءاب، وخرجوا منها

---

(١) سورة القمر، الآية: ١١ - ١٢.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٣.
(٤) سورة هود، الآية ٤٣.

يوم عاشوراء من المحرّم، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء، وكان الماء نصفين: نصف من السماء ونصف من الأرض، وطافت السفينة بالأرض كلّها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم أسبوعًا - أي سبع دورات - ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت الى الجوديّ، وهو جبل بقردى بأرض الموصل، فاستقرت عليه، فقيل عند ذلك: ﴿ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1]، ولما استقرت قيل: ﴿ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾[2]، نشفته الأرض، وأقام نوح في الفلك إلى أن غاض الماء، فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعًا وابتنى قريةً سمّوها ثمانين، وهي الآن تسمى بسوق الثمانين لأن كلّ واحد ممن معه... بنى لنفسه بيتًا وكانوا ثمانين رجلًا» اهـ.

وقال العليميّ[3]: «وقد ورد حديث أنّ السّفينة طافت بالبيت الحرام أسبوعًا، ثم طافت ببيت المقدس أسبوعًا، وروي أنّ السّفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت بإذن الله تعالى وقالت: يا نوح، هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من أولادك» اهـ.

رَفْعُ العذاب عن قوم يونس بن متى عليه السلام يوم عاشوراء

بعث الله تبارك وتعالى نبيَّهُ يونس بن متى عليه السلام إلى أهل نينوى الذين كانوا في أرض الموصل بالعراق، ليدعوهم إلى دين الإسلام ويعبدوا الله وحده، وكان عدد أهل نينوى أكثر من مائة ألف نسمة، وكانت قد دخلت فيهم الوثنية وانتشرت فيهم عبادة الأصنام، فدعاهم سيّدنا يونسُ عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فكذّبوه وتمرّدوا عليه وأصرّوا على كفرهم ولم يستجيبوا لدعوته.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، العليميّ، (١/ ٤٣).

بقي يونس عليه السلام بينهم صابرًا على الأذى يدعوهم إلى الحقّ، ولكنه مع طول مكثه معهم لم يَلْقَ منهم إلا عنادًا وتماديًا في الكفر والضلال، وأقام فيهم نحو ثلاث وثلاثين سنة يدعوهم إلى الإسلام، ولم يؤمن به خلال هذه المدّة غير رجلين! فأَيِسَ منهم أي ما عاد يرجو اهتداءهم وخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم لكفرهم قبل أن يأمره الله تعالى بالخروج، وظنَّ أنَّ الله سبحانه لن يضيّق عليه بسبب تركه لأهل هذه المدينة وهذه معصية صغيرة ما فيها خسّة ولا دناءة، وقد تاب منها سيدنا يونس ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

يونس عليه السلام لم يغضب من ربّه ولم يشكّ بقدرة الله

وهنا ينبغي أن نتوقّف هنيهة لبيان أمر مهم، وهو أنه ظنَّ بعض الناس أنّ يونس عليه السلام غضب من ربّه وهذا غير صحيح ألبتة، بل من يعتقد هذا فقد وقع في الكفر والعياذ بالله تعالى، إذ لا يجوز هذا في حقّ أنبياء الله الذين عصمهم الله وجعلهم هداةً مهتدين عارفين بربهم، فمن نسب إلى يونس عليه السلام أنّه ذهب مغاضبًا لله فقد افترى على نبيّ الله ونسب إليه الجهل بالله والكفر به، وهذا يستحيل على الأنبياء لأنهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوّة وبعدها.

وأما قول الله سبحانه في حقّ سيدنا يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[2]، أي

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧. وقال الزبيديّ في تاج العروس، مادة ق د ر: «القَدْر: التضييق، كالتقدير. يُقال: قَدَرَ عليه الشَّيْءَ يَقْدِرُه ويَقْدُرُه قَدْرًا وقَدَرًا، وقَدَّرَه: ضَيَّقَه، عن اللّحيانيّ. وقولُه تَعَالَى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نُضَيّق عليه، قاله الفَرّاءُ وأَبو الهَيْثَم. وقال الزَّجّاج: أَي لَنْ نُقدِّر عليه ما قَدَّرنا من كوْنِه في بَطْنِ الحُوتِ. قال: ونَقْدِرُ: بمعنَى نُقدِّر. قال:=

ظنَّ أنّ الله تعالى لن يُضيّق عليه بتركه لقومه قبل أن يؤمر بذلك، ولا يجوز أن يُعْتَقَدَ أنّ نبيّ الله يونس عليه السلام ظنَّ أنّ الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه لأنّ هذا مما لا يُعْذَرُ فيه أحد العوامّ فضلًا عن نبيّ كريم.

وقال النّحاس[1]: «وربما أنكره هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح». والمعنى: مغاضبًا من أجل ربّه، كما تقول: غضبتُ لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله عزَّ وجلَّ إذا عُصِيَ، ولم يغضب على الله ولكن غَضِبَ لله. وقال ابن مسعود: أَبِقَ من ربّه أي من أمر ربّه حتى أمره بالعودة إليهم بعد رفع العذاب عنهم. فإنّه كان يتوعَّد قومه بنـزول العذاب في وقت معلوم، وخرج من عندهم في ذلك الوقت، فأظلَّهم العذاب فتضرَّعوا فَرُفِعَ عنهم كما قيل يوم الأربعاء وكان يوم عاشوراء[2]، ولم يعلم يونس بتوبتهم؛ فلذلك ذهب مغاضبًا وكان من حقّه ألّا يذهب إلا بإذن محدّد.

وذكر الثعلبيّ[3] وقال عطاء[4] وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه:

= وقد جَاءَ هذا في التَّفْسِير. قال الأَزْهريّ: وهذا الذي قاله صحيح، والمعنى ما قَدّرَهُ اللهُ عليه من التضييق في بطنِ الحوت وكُلُّ ذلك سائغ في اللغة، والله أعلم بها أراد. وأما أن يكون من القدرة فلا يجوز، لأنّ من ظنّ هذا كَفَر، والظنّ شكٌّ، والشكّ في قدرة الله تعالى كُفْرٌ. وقد عَصَمَ الله أَنْبيَاءَه عن ذلك، ولا يَتَأَوَّل مِثْلَه إلاّ جاهلٌ بكلام العَرَب ولُغَاتِهَا» اهـ. (١٣/ ٣٧٣).

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ المصريّ ت ٣٣٨ هـ أبو جعفر النحاس: مفسرّ، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباريّ. زار العراق واجتمع بعلمائه وصنّف: (تفسير القرءان)، و(إعراب القرءان)، و(ناسخ القرءان ومنسوخه)، و(معاني القرءان). الأعلام، الزركلي، (١/ ٢٠٨).

(٢) الكامل في التاريخ، (١/ ١٢١).

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ ت ٤٢٧ هـ أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. من كتبه: (الكشف والبيان في تفسير القرءان) يعرف بتفسير الثعلبيّ. الأعلام، الزركلي، (١/ ٢١٢).

(٤) عطاء بن أبي رباح أسلم، مفتي الحرم، أبو محمد القرشّي، من كبار التابعين، حدّث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم، وحدث عنه مجاهد، والزهريّ، وقتادة. سير أعلام النبلاء، الذهبيّ، (٥/ ٧٨ - ٨٧).

فظن أنّ لن نضيّق عليه. قال الحسن: هو من قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[1] أي يضيّق. وقوله سبحانه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2]. قلتُ - أي القرطبيّ، وما زال النّقل والكلام له -: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن وقَدَرَ وقَدَّرَ وقَتَرَ وقَتَّرَ بمعنى، أي ضيّق وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماورديّ[3] والمهدويّ. وقيل: هو من القدر الذي هو القضاء والحكم، أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة.

وهذان التأويلان تأولهما العلماء في قول الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط لأهله إذا مات فحرِّقوه: «**فوالله لئن قدر الله عليّ**»[4] الحديث، فعلى التأويل الأول يكون تقديره: والله لئن ضيَّق الله عليَّ وبالغ في محاسبتي وجزائي على ذنوبي ليكونن ذلك، ثم أمر أن يحرق بإفراط خوفه. وعلى التأويل الثاني: أي لئن كان سبق في قدر الله وقضائه أن يعذب كل ذي جرم على جرمه ليعذّبني الله على إجرامي وذنوبي عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين غيري. وحديثه خرّجه الأئمة في الموطأ وغيره. والرجل كان مؤمنًا موحدًا. وقد جاء في بعض طرقه: «**لم يعمل خيرًا إلا التوحيد**» وقد قال حين قال الله تعالى: «**لم فعلت هذا؟**» قال: من خشيتك يا رب. والخشية لا تكون

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) عليّ بن محمد بن حبيب البصريّ، الماورديّ، الشافعيّ ت ٤٥٠ هـ قال القاضي شمس الدين في «وفيات الأعيان»: من طالع كتاب «الحاوي الكبير» له يشهد له بالتبحر ومعرفة المذهب، ولي قضاء بلاد كثيرة، وله: تفسير القرءان سماه (النكت والعيون)، و(أدب الدنيا والدين)، و(الأحكام السلطانية). سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٦٤ - ٦٧).

(٤) روى مالك في الموطّأ: «حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرّقوه، ثم اذْرُوا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذّبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا ربّ، وأنت أعلم. قال: فغفر له**» اهـ. كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، (١/ ٢٤٠)، رقم الحديث (٥٧٠).

إلا لمؤمن مصدق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1]. وقد قيل: إنّ معنى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: الاستفهام، وتقديره: أَفَظَنَّ؟ فحذف ألف الاستفهام إيجازًا، وهو قول سليمان التيميّ أبي المعتمر[2]. وحكى القاضي منذر بن سعيد[3]: أنّ بعضهم قرأ «أفظن» بالألف». انتهى كلام القرطبيّ.

ولادة سيّدنا إبراهيم الخليل ليلة الجمعة في عاشوراء

قال النويريّ[4]: «لما استكملت - أمّ إبراهيم حملها بإبراهيم - تسعة أشهر قالت لأبيه: إنّي أحب أن أدخل بيت الأصنام فأسألها أن تخفف عني أمر الولادة، فأذن لها في ذلك، وتربص بها إلى الليل خوفًا أن يعلم الناس بحملها، فدخلت بيت الأصنام ثم خرجت فزعة، فإذا هي بنمرود في قومه، وبين أيديهم الشموع والمشاعل، فقال نمرود: من هذا؟ قالت: زوجة عبدك تارح، فأراد أن يقول: اقبضوها، فقال: خلوها، فأقبلت إلى منزلها مذعورة، فجاءها الطلق، فأقبل إليها مَلَك من عند الله تعالى وقال: لا تخافي، وانهضي فضعي ما في بطنك. فتبعته حتى أدخلها الغار، وهو الذي ولد فيه إدريس ونوح عليهما السلام. قال: ودخلت

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سليمان بن طرخان الإمام، أبو المعتمر التيميّ البصريّ، ت ١٤٣ هـ محدّث، قال يحيى بن معين والنسائيّ وغيرهما: ثقة. روى عن أنس بن مالك وعن أبي عثمان النهديّ، حدّث عنه: أبو إسحاق السبيعيّ أحد شيوخه، وابنه معتمر، وشعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة، قال عليّ بن المدينيّ: له نحو مائتي حديث. سير أعلام النبلاء، (٦/ ١٩٥ - ٢٠٢).

(٣) منذر بن سعيد البلوطيّ أبو الحكم الأندلسّي ت ٣٥٥ هـ، قاضي الجماعة بقرطبة، من تصانيفه: (الإنباه عن الأحكام من كتاب الله)، و(الإبانة عن حقائق أصول الديانة). قال ابن بشكوال في بعض كتبه: منذر بن سعيد خطيب بليغ مصقع، لم يكن بالأندلس أخطب منه، مع العلم البارع، والمعرفة الكاملة، واليقين في العلوم، والدّين، والورع، وكثرة الصيام، والتهجد، والصدع بالحقّ. سير أعلام النبلاء، (١٦/ ١٧٣ - ١٧٨).

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويريّ، (١٣/ ٩٠ - ٩١).

أمّه الغار فوجدت فيه جميع ما تحتاج إليه، وخفّف الله عنها الطلق، فولدته في ليلة جمعة، وهي ليلة عاشوراء، فلما سقط إلى الأرض قطع جبريل سرته، وأذّن في أذنه، وكساه ثوبًا أبيض، ثم عاد بها إلى منزلها فرجعت خفيفة كأن لم تلد، وقال لها الملَك: اكتمي أمرك وما قد رأيت. فدخلت منزلها، وجاء تارح فرءاها نشيطة خفيفة، فقالت مُوَرِّيَةً - أي مريدة أمرًا آخر -: إنّ الذي كان في بطني لم يكن ولدًا، وإنما كانت ريحًا وقد انشقت عني. ففرح بذلك، وألقى الله تعالى على نمرود النسيان في أمر إبراهيم، فلما كان اليوم الخامس خرجت أمّه إلى الغار فرأت الوحش والسباع على بابه، فتوهّمت أن يكون هلك، فدخلت فرأته على فراش من السندس، وهو مدهون مكحول، فتحيّرت وعلمت أنّ له ربًّا، ورجعت إلى منزلها وأخبرت تارح الخبر، فنهاها عن العود إلى الغار، فكانت تروح إليه سرًّا في كل ثلاثة أيام تنظر إليه وتعود، حتى تم له حولان، فأتاه جبريل بطعام من الجنّة، فأطعمه وسقاه، فلما استكمل أربع سنين جاءه مَلَك بكسوة من الجنّة، وسقاه شربة التوحيد وقال: اخرج الآن منصورًا» اهـ.

ظهور موسى عليه السلام على السَّحَرَة يوم عاشوراء

قال ابن كثير[١]: «فانطلقا جميعًا - أي موسى وهارون عليهما السلام - إلى فرعون، فأقاما على بابه حينًا لا يؤذن لهما. ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ٤٧﴾[٢]، فأبى على موسى عليه السلام وقال: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣]، فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل. ثم أخرج موسى عليه السلام

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (١/ ٣٥٣ - ٣٥٤).

(٢) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٦.

يده من جيبه فرءاها بيضاء من غير سوء، يعني من غير برص. ثم ردها فعادت إلى لونها الأول.

فاستشار فرعونُ الطاغيةُ الملأ حوله فيما رأى فقالوا له: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾[1] يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش، وأبوا على موسى أن يعطوه شيئًا مما طلب، وقالوا له: اجمع السحرة فإنهم بأرضك كثير، حتى تغلب بسحرك سحرهما.

فأرسل إلى المدائن فحشر به كل ساحر، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قال: يعمل بالحيّات! قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيّات والحبال والعصيّ الذي نعمل، وما أجرنا إن نحن غلبنا؟ قال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كل شئ أحببتم، فتواعدوا ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾﴾[2]، قال سعيد: فحدّثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، هو يوم عاشوراء.

فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاءً بهما، فقالوا: يا موسى، بعد تريثهم بسحرهم ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾[3] قال: فقال لهم موسى، عليه السلام: (ألقوا) أي: أنتم أولا قبلي. والحكمة في هذا - والله أعلم - ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[4] فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه: ﴿أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾[5]،

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٥٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١٥.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٤٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمة فاغرة فاها، فجعلت العصا تلتبس بالحبال حتى صارت حرزًا للثعابين تدخل فيه حتى ما أبقت عصًا ولا حبلًا إلا ابتلعته. فلما عرف السحرة ذلك، قالوا: لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا كل هذا، ولكنه أمر من الله تعالى، ءامنا بالله وبما جاء به موسى، ونتوب إلى الله مما كنا عليه. فكسر اللهُ ظهرَ فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحقّ وبطل ما كانوا يعملون ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾» اهـ.

زواج سليمان من بلقيس يوم عاشوراء

وقال النويريّ[1]: «تحت عنوان: ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام.

قال الكسائيّ: أقامت بلقيس عند سليمان سبع سنين وسبعة أشهر ثم توفيت، فدفنها بمدينة تدمر من أرض الشام تحت حائط - أي بستان -، ولم يعلم أحد بموضع قبرها إلى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان .قال موسى بن نصير: بُعِثْتُ في أيام الوليد إلى مدينة تدمر ومعي العباس بن الوليد بن عبد الملك، فجاء مطر عظيم فانهار بعض حائط المدينة، فانكشفت عن تابوت طوله ستون ذراعًا وعرضه أربعون ذراعًا وعليه حجر كالزعفران مكتوب عليه: «هذا تابوت بلقيس الصالحة، أسلمت لثلاث عشرة سنة خلت من ملك سليمان، وتزوّج بها يوم عاشوراء سنة أربع عشرة خلت من ملكه، وتوفيت يوم الاثنين من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين مضت من ملكه، وقد دُفِنَت ليلًا في حائط مدينة تدمر، ولم يطلع على دفنها إنس ولا جن ولا شيطان[2]. قال: فرفعنا غطاء التابوت وإذا هي غضة كأنها دفنت ليلتها. فكتبنا بذلك إلى الوليد فأمر بتركه في مكانه، وأن يبنى عليه بالصخر والمرمر[3]، ففعلنا ذلك» اهـ.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، (١٤/١٠٦ - ١٠٧).

(٢) لم يثبت في حديث صحيح وإنما هو من كلام بعض المؤرخين.

(٣) وهو نوع خاص من الحجر.

ما ورد في بعض كتب التّاريخ ممَّا جرى في عاشوراء في بعض الأزمنة القديمة

حوادث جرت في عاشوراء سوى مقتل الحسين عليه السلام

قال الصفديّ في ترجمة إبراهيم بن عرفات بن صالح[١]: «القاضي زين الدين ابن أبي المنى القنائيّ الشافعيّ. تولّى الحكم بقنا، وكان يتصدق في كل يومِ عاشوراء بألف دينار على من هو محتاج، ويلحقُ الفقيرُ المسكينُ من جوده بذي التاج، مع حسن وجهٍ ساعة البذل، لا كما يتكلف الخير وفعله الساقطُ النذل.

قالت امرأة: جئت إليه يوم عاشوراء فأعطاني، وعدت إلى منزلي وأعطاني، ثم صرت إليه ثانيًا فأنالني وخوّلني، ثم رددت إليه ثالثًا فحباني وما حوّلني، فعلتُ ذلك مراتٍ وهو يجودُ عليَّ ببِرّهِ، ولا يطوي عني حسن بِشْرِهِ، إلى أن تكمل لي منه ذلك اليوم ستمائة درهم، فاشتريت بذلك مسكنًا، وأراحني من الهمّ.

وكانت له عقيدة حسنة في أهل الصلاح، ويأخذ من أدعيتهم ما هو أوقى له من السلاح. ولم يزل على خيرٍ إلى أن فات، وعد من الرفات. ووفاته، رحمه الله تعالى، في بلده سنة أربع وأربعين وسبعمائة» اهـ.

وقال الصفدّي أيضًا في ترجمة أحمد بن أبي بكر بن محمد بن محمود بن سلمان ابن فهد[٢]: «هو شهاب الدين، ابن القاضي شرف الدين، ابن القاضي شمس الدين، ابن القاضي شهاب الدين محمود. كان القاضي شهابُ الدين المذكور من جملةِ موقعي الدست، وكان أولًا من جملة كتّاب الإنشاء، فلما توفي والده القاضي شرف الدين بالقدس أُعْطِيَ مكانَ والده فباشره، فكان هشًّا بشًّا بمن يراه، مكرمًا

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر، الصفديّ، (١/ ١٧).

(٢) المرجع نفسه، (١/ ٤٣).

لمن أَمَّه أو قصد ذراه. نفسه متسعة للجود، قائمةٌ بما ينبغي من إكرام الوفود. لا يتكلم إلا وهو يضحَك، ولا يفارقُ لجود طباعه نُصحك. يقضي حوائج الناس في قُصصهم، ويزيحُ عنهم ما تجرّعوه من غصصهم، فأحبّه الناسُ، وردّ عليهم ما كان حصل لهم في والده من اليأس. ولم يزل على حاله إلى أن عاجله حتفه، وصرف إليه من الموت صرفه.

توفي رحمه الله تعالى يوم عاشوراء، سنة أربع وخمسين وسبعمائة. ومولده سنة سبع عشرة وسبعمائة. واحتفل الناس - أي كانوا جمعًا حافلًا - لجنازته، ودفن في تربة جده بالصالحية» اهـ.

قال الرافعيّ في «التدوين في أخبار قزوين»[1]: «غريبة .. حدَّثَ محمد بن عامر الوكيل قال: حدّثني ريحان القادي، قال: كان أمير المؤمنين القادر بالله يصلي الفجر من دارين من أبنية المعتضد وابنه المكتفي، وكانتا خاليتين إذ ذاك من ساكن ليخلو بنفسه في الدعاء، وكان فيهما نمل كثير، وكان يحمل كلَّ يوم شيئًا من الطعام فتأتي النمل عليه، فلما كان يوم عاشوراء فتت القرن والنمل منبسط كثير، فلم يتناول منه شيئًا فعجب. قال عسى يكون في هذا الطعام شبهة، فنفذ إلى وكيل خزانة الخبز فذكر أنه من أحلّ أملاكه وأطيبها فازداد عجبًا، ثم إنّه استدعى الشيخ الزاهد القزوينيّ، فلما حضر أعلمه ذلك فتبسّم، وقال: يا أمير المؤمنين هذا يوم عاشوراء، والوحش والطير والذئب صائم كلّه - أي يمتنعون عن الطعام كأنهم صائمون - فتركه ووكل بالموضع من شاهد النّمل إلى الليل، فلما غربت الشمس خرجت وأتت على جميعه» اهـ.

وقال الرافعيّ كذلك[2]: «عن عطاء عن أبي الخليل عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: رويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«صوم عاشوراء كفّارة سنة»** اهـ.

(١) التدوين في أخبار قزوين، الرافعيّ، (١/ ٤٥٩).
(٢) التدوين في أخبار قزوين، (٢/ ٣٦).

وقال المالقيّ الأندلسيّ في «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»[1]: «أما قولهم النفقة فيه مخلوفة - أي في عاشوراء - فلم يرد بذلك أثر، قال إسحاق بن إبراهيم: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله، قلت: هل سمعت في الحديث أنه: **«من وسّع على عياله في يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السّنة»**؟ قال: نعم، شيء. رواه سفيان عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد بن المبشر، قال سفيان: وكان من أفضل ما رويناه أنه بلغه أن مَنْ وسّع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة قال سفيان بن عيينة: «قد جربناه منذ خمسين أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرًا» اهـ.

---

(١) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، المالقيّ الأندلسّي، (١/ ٢٣٥).

حكم الصّيام في عاشوراء

أحاديث نبوية تبيّن فضل صيام يوم عاشوراء

روى مالك[1] في الموطّأ: «عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبيّ ﷺ أنها قالت: كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه» اهـ.

وفي الصحيحين: «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صام النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك ذلك. وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه. وفي رواية لمسلم: أنّ أهل الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء وأنّ رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان قال رسول الله ﷺ: **إنّ عاشوراء يوم من أيّام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه**» اهـ.

وروى البخاريّ[2]: «عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يومًا تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان قال رسول الله ﷺ: **«من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه»** اهـ.

وروى البخاريّ أيضًا[3]: «عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ بعث رجلًا ينادي في الناس يوم عاشوراء: **«أنّ من أكل**

---

(١) موطأ مالك، مالك، باب صيام يوم عاشوراء، ١/ ٢٩٩، رقم الحديث (٦٦٢).

(٢) صحيح البخاريّ، البخاريّ، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة ٩٧). ٢/ ١٨٢، رقم (١٥٩٢.

(٣) صحيح البخاريّ، كتاب الصوم، باب إذا نوى بالنهار صومًا، ٣/ ٣٨، رقم (١٩٢٤).

فليتمّ، أو فليصم، ومن لم يأكل فلا يأكل» اهـ.

وروى أيضًا[1]: «عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبيّ ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: **«من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم»**، قالت: فكنا نصومه بعد ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العِهن[2]، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار» اهـ.

وروى البخاريّ أيضًا[3]: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبيّ ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: **«ما هذا؟»** قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى. قال: **«فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه»** فالرسول ﷺ لم يأخذ حكم صيام عاشوراء من اليهود وإنّما يشرع لأمته من طريق الوحي.

وروى مسلم[4]: «عن نافع أخبرنى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأنّ رسول الله ﷺ صامه والمسلمون، قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ: **«إنّ عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه»** اهـ.

وروى أبو داود[5] في حديث طويل عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث من كلّ شهر ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كلّه، وصيام عرفة إني أحتسب على الله أن يكفّر السّنة التى قبله والسّنة التى بعده، وصوم يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفّر السّنة التى قبله»** اهـ.

وروى أبو داود[6]: «عن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبيّ

---

(١) صحيح البخاريّ، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، (٣/ ٤٨)، رقم (١٩٦٠).
(٢) مختار الصحاح، الرازي، مادة ع هـ ن: «العهن: الصوف» (١/ ٤٦٧).
(٣) صحيح البخاريّ، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، (٣/ ٥٧)، رقم (٢٠٠٤).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، (٣/ ١٤٧)، رقم (٢٦٩٨).
(٥) سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب في صوم الدهر تطوعا، (٢/ ٢٩٧)، رقم (٢٤٢٧).
(٦) سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب في صوم العشر، (٢/ ٣٠١)، رقم (٢٤٣٩).

ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم تاسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر: أول اثنين من الشهر والخميس» اهـ.

وروى ابن أبي شيبة[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم عاشوراء يوم كانت تصومه الأنبياء، فصوموه أنتم**» اهـ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، باب ما قالوا في صوم يوم عاشوراء، (٣/ ٥٥)، رقم (٩٤٤٦).

حكم صيام يوم عاشوراء

خرّج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**أفضلُ الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرَّم، وأفضلُ الصّلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل**».
هذا الحديث صريح في أنّ أفضلَ ما تُطوّعَ به من الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم. فأمّا بعض التطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه، كصيام يوم عرفة أو عشر ذي الحجة، أو ستة أيام من شوّال، ونحو ذلك.
وفي صحيح البخاريّ[2] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «**ما رأيتُ النّبيّ ﷺ يتحرّى صيامَ يومٍ فضّله على غيره إلا هذا اليومَ يومَ عاشوراءَ وهذا الشهرَ يعني شهر رمضان**» اهـ.

ويوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحُرمة قديمة وصومه لفضله كان معروفًا بين الأنبياء عليهم السلام وقد صامه نوح وموسى عليهما السلام. ففي صحيح مسلم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[3]: أنّ رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة، فوجد اليهودَ صِيامًا يومَ عاشوراء، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**ما هذا اليومُ الذي تصومونه؟**» فقالوا: هذا يومٌ عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعونَ وقومَه، فصامه موسى شُكرًا، فنحنُ نصومه. فقال رسولُ الله ﷺ: «**فنحن أحقّ وأولى بموسى منكم**». فصامه رسولُ الله ﷺ وأمر بصيامه» اهـ.

وفي مسند الإمام أحمد[4]: مرّ النبيّ ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا من الصوم؟**»، قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصامه نوح وموسى شكرًا لله تعالى، فقال النبيّ ﷺ: «**أنا أحقّ بموسى**

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم (٢٨١٢).
(٢) صحيح البخاريّ، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم (٢٠٠٦).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم (٢٧١٤).
(٤) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٢/ ٣٥٩)، رقم (٨٧٠٢).

وأحقّ بصوم هذا اليوم»، فأمر أصحابه بالصوم.

ويسنّ أيضًا صيام تاسوعاء، وهو تاسع المحرم لقوله ﷺ: «لئنْ بقِيتُ إلى قابل لأصومَنّ التاسع» رواه مسلم[1]. ولكن مات رسول الله قبله. وقال الشافعيّ وأصحابه، وأحمد، وإسحاق، وءاخرون: يُستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا لأن النبيّ ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع.

قال بعض العلماء: ولعلّ السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبّه باليهود في إفراد العاشر. وقال بعضهم: وحكمة صوم يوم تاسوعاء مع عاشوراء الاحتياط له لاحتمال الغلط في أوّل الشّهر، ولمخالفة اليهود فإنّهم يصومون العاشر، والاحترازُ من إفراده بالصوم كما في يوم الجمعة، فإن لم يصم معه تاسوعاء سُنّ أن يصومَ معه الحادي عشر بل نصّ الشافعيُ في (الأم والإملاء) على صوم الثلاثة.

ويستفاد من صوم النبيّ ﷺ ليوم عاشوراء جوازُ فعلِ الشُّكرِ لله على ما مَنّ به في يومٍ معيّن من سدادِ نعمةٍ أو دَفع نِقمَةٍ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. ويُستفاد منه أيضًا ضرورة مخالَفة اليهود وعدم التّشبه بهم ولذلك قال الرسول: «لئنْ بقِيتُ إلى قابل لأصومَنّ التّاسع». فالرّسول يعلمنا أن نخالف الكفار وأن لا نتشبّه بهم. وأما صيام الرسول لهذا اليوم مع أنّ اليهود كانوا يصومونه فقد فسّرَهُ الرسول بقوله: «نحن أَوْلى بموسى منكم» فصامه شكرًا لله على نعمة نجاة سيدنا موسى عليه السلام. وروى الإمام أحمد[2] والنَّسائيّ[3] وابن حبان[4] من حديث أم سلمة: «أن النبيَّ كان يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثرَ ما يصومُ من الأيام ويقول: «**إنهما يوما عيد للمشركين، فأنا أحبّ أن أخالفهم**» اهـ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أيّ يوم يصام في عاشوراء، (٣/ ١٥١)، رقم (٢٧٢٣).

(٢) مسند أحمد، مسند أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، (٦/ ٣٢٣)، رقم (٢٦٧٩٣). ولفظه: «إنهما عيدا المشركين، فأنا أحبّ أن أخالفهم» اهـ.

(٣) سنن النسائيّ الكبرى، النسائيّ، باب صيام يوم الأحد، (٢/ ١٤٦)، رقم (٢٧٧٦).

(٤) صحيح ابن حبان، ابن حبان، باب الصوم المنهيّ عنه، (٨/ ٣٨١)، رقم (٣٦١٦). ولفظه: «إنهما عيدان للمشركين وأنا أريد أن أخالفهم» اهـ.

ومن الأمور الدّخيلة على يوم عاشوراء

ما قاله المناويّ[1]: «إنّه رُوِيَ: «**من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا**» لأنّ في الاكتحال به مزية للعين وتقوية للبصر، ومدد للروح متصل ببصر العين، فإذا اكتحل فذهبت الغشاوة وَصَلَ النّفع إلى بصر الروح، ووجد له راحة وخفة، فإذا كان ذلك منه في ذلك اليوم نال البركة فعوفي من الرمد.

قال المناويّ معقبًا: وعن الحاكم عن عبد العزيز بن محمد عن عليّ بن محمد الوراق عن الحسين بن بشر عن محمّد بن الصّلت بن جويبر عن الضّحاك عن ابن عباس. ثم قال أعني البيهقيّ: إسناده ضعيف، قال: وجويبر ضعيف والضّحاك لم يلق ابن عباس.

وقال الحاكم: منكر، وأنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر. فقال السخاويّ: قلت بل هو موضوع. وقال الزركشيّ: لا يصح فيه أثر وهو بدعة. وقال ابن رجب في لطائف المعارف: كل ما رُوِيَ في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه موضوع لا يصح. وقال ابن حجر: حديث إسناده واهٍ جدًّا. وأورده ابن الجوزيّ في الموضوعات من هذا الوجه بسند ليس فيه غير أحمد بن منصور، وهو إسناد مختلف بهذا المتن قطعًا» اهـ.

ومما أورده المناويّ لتبيان ضعفه قوله[2]: رُوِيَ: «**مَنْ وسَّع على عياله**» وهم في نفقته «**في يوم عاشوراء**» عاشر المحرم وفي رواية بإسقاط في «**وسَّعَ الله عليه في سنته كلها**» دعاء أو خبر، وذلك لأنّ الله سبحانه أغرق الدنيا بالطوفان، فلم يبقَ إلا سفينة نوح بمن فيها، فردَّ عليهم دنياهم يوم عاشوراء، وأُمروا بالهبوط للتأهُّب للعيال في أمر معاشهم بسلام وبركات عليهم وعلى من في أصلابهم من الموحدين. فكان ذلك يوم التّوسعة والزيادة في وظائف المعاش فيسن زيادة ذلك في كل عام. ذكره الحكيم وذلك مجرب للبركة والتوسعة، قال جابر الصحابيّ:

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٦/ ١٠٦).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٦/ ٣٠٦).

جرّبناه فوجدناه صحيحًا. وقال ابن عيينة: جرّبناه خمسين أو ستين سنة. وقال ابن حبيب أحد أئمة المالكية: [البسيط]

إنْ تنسَ لا يُنْسِكَ الرحمن عاشورا ... واذكره لازلت في الأخبار مذكورا

قال الرسول صلاة الله تشملهُ ... قولًا وجدنا عليه الحقَّ والنورا

من بات في ليل عاشوراء ذا سعةٍ ... يكن بعيشته في الحول مجبورا

فارغب فديتك فيما فيه رغّبنا ... خيرُ الورى كلّهم حيًّا ومقبورا

قال المؤلف: فهذا من هذا الإمام الجليل يدل على أنّ للحديث أصلًا.

ثم قال المناويّ ذاكرًا مَن ضعّف هذا الحديث: عن عبد الوارث بن إبراهيم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن البزار عن هيصم بن شداخ عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. قال العقيليّ: الهيصم مجهول والحديث غير محفوظ من هذا الوجه عن أبي سعيد الخدريّ، ثم قال: تفرّد به هيصم عن الأعمش. وقال ابن حجر في أماليه: اتفقوا على ضعف الهيصم وعلى تفرده به. وقال البيهقيّ في موضع: أسانيده كلها ضعيفة. وقال ابن رجب في اللطائف: لا يصح إسناده، وقد روي من وجوه أخر لا يصح شئ منها. ورواه ابن عديّ عن أبي هريرة قال الزّين العراقي في أماليه: وفي إسناده لين، فيه حجاج بن نصير ومحمد ابن ذكوان وسليمان بن أبي عبد الله مضعفون، لكن ابن حبان ذكرهم في الثقات، فالحديث حسن على رأيه، وله طريق ءاخر صحّحه ابن ناصر وفيه زيادة منكرة. وتعقّب ابن حجر حكم ابن الجوزيّ بوضعه. وقال المجد اللغويّ: ما يُروى في فضل صوم يوم عاشوراء والصلاة فيه والإنفاق والخضاب والادّهان والاكتحال بدعة ابتدعها قَتَلَة الحسين رضي الله عنه. وفي «القنية» للحنفية: الاكتحال يوم عاشوراء لما صار علامة لبغض أهل البيت وجب تركه» اهـ.

ومما ضعّفه المحدّثون[1] ما يُروى: «عن ميمونِ بنِ مِهْران عن عبدِ الله بن

---

(١) المجروحين، ابن حبان، (١/ ٢٦٦). الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، اللكنويّ، (١/ ٩٤).=

عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صامَ يومَ عاشوراءَ مِنَ المحرّم أعطاه الله تعالى ثوابَ عشرةِ ءالاف مَلَك، ومَنْ صامَ يومَ عاشوراءَ مِنَ المحرّم أُعطِيَ ثوابَ عَشرةِ ءالاف حاجّ ومعتمرٍ وعشرَة آلافِ شَهِيدٍ، ومن مسحَ يدَه على رأس يتيم يومَ عاشوراءَ رفع الله تعالى له بكلّ شعْرةٍ درَجةً، ومنْ فطّر مؤمنًا ليلةَ عاشوراءَ فكأنما أفطر عنده جميع أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام، وأشبعَ بطونَهُم». قالوا: يا رسولَ الله لقد فضّل الله يومَ عاشوراءَ على سائر الأيام. قال: «نعم، خلقَ الله تعالى السمواتِ والأرضينَ يومَ عاشوراءَ، وخلقَ الجبالَ يومَ عاشوراءَ، وخلقَ البحرَ يوم عاشوراء، وخلق اللوح والقلم يوم عاشوراء، وخلق ءادمَ يوم عاشوراء، وخلق حوّاءَ يوم عاشوراء، وخلقَ الجنّة وأدخله الجنّة يوم عاشوراء، ووُلِدَ إبراهيمُ يومَ عاشوراء، ونجَّاه الله من النارِ يوم عاشوراء، وقد أُمِرَ بالذبح يوم عاشوراء، وفدى ولدَهُ مِن الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعونَ يومَ عاشوراء، وكشفَ البلاءَ عن أيّوبَ يومَ عاشوراء، وتاب الله على ءادم يوم عاشوراء، وغفر ذنبَ داودَ يوم عاشوراء، وردَّ ملك سليمانَ يومَ عاشوراء، ووُلِد عيسى في يومِ عاشوراء، ورفعَ الله إدريسَ وعيسى يومَ عاشُوراء، ووُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ في يومِ عاشوراء، ويومُ القيامةِ في يومِ عاشوراءَ» اهـ.

= اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطيّ، (٢/ ٩٣). تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة، الكنانيّ، (٢/ ١٤٩). الموضوعات، ابن الجوزي، (٢/ ١١٥).

الكلام على قوله تعالى

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[1]

قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه التبصرة : روى البخاري ومسلمٌ في صحيحيهما من حديث أبي بكرٍ عن النبي ﷺ أنه قال يومَ النحر بمكة: **«دماؤكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقَوْنَ ربَّكم فيسألُكُم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بَعدي ضُلَّالًا يضرب بعضكم رقاب بعض»**.

أخبرنا هبة الله بن الحصين، أنبانا الحسن بن عليّ، ابن المذْهِب، أنبأنا أحمد ابن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن شقيق، قال: قال عبد الله، قال رسول الله ﷺ: **«أولُ ما يُقْضى بين الناسِ يومَ القيامةِ في الدماءِ»**.

قال أحمد: وحدثنا أبو النضر، حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لنْ يزالَ المرءُ في فُسحةٍ من دينِهِ، ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا»**.

انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري واتفقا على الذي قبله.

أخبرنا علي بن عبيد الله، أخبرنا أبو الحسين ابن النَّقُور، أخبرنا أبو حفص الكناني، حدثنا البغوي، حدثنا محمد بن عبَّاد المكي، حدثنا حاتم، يعني ابن إسماعيل، عن بشير يعني ابن المهاجر، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«لَقتلُ المؤمن أعظمُ عندَ الله من زوالِ الدنيا»**.

واعلم أنَّ الله عز وجلَّ اختارَ هذا اليوم لاستشهاد الحسين.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذْهِب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا

---

(١) الإسراء ٣٣.

عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا أبو النَّضر، حدثنا مهدي، عن محمد بن أبي يعقوب، عن ابن أبي نعم، قال جاء رجل إلى ابن عمر، وأنا جالسٌ عنده فسأله عن دم البعوض فقال له: ممنْ أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألُ عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**هما رَيْحانتايَ من الدنيا**».

انفرد بإخراجه البخاري.

أخبرنا الكَرُوخي، أنبأنا أبو عامر الأزْدِي. وأبو بكر الغُورَجِي، أنبأنا الجرَّاحين حدثنا المحبوبين حدثنا الترمذي، حدثنا محمود بن يغلان، حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيانن عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن أبي نُعْم، عن أبي سعيدِ الخدْري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة**».

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا الجوهري، حدثنا ابن معروف، حدثنا ابن صاعد، حدثنا يوسف بن موسى القطَّان، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن عاصم ابن بهدلة، عن أبي ذر، عن عبدِ الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذانِ ابناي، فمنْ أحبَّهما فقدْ أحبَّني**» يعني الحسنَ، والحسينَ عليهما السلام.

أخبرنا علي بن عبد الله، أخبرنا علي بن أحمد بن البشري، أخبرنا عبيد الله ابن محمد بن ربطة إذنًا، قال: حدثني أبو صالح محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عبيد الله البصري، حدثنا عبيد الله بن محمد العبْسي، حدثنا أبان بن أبي عيَّاش، عن شهر بن حَوْشَب، عن أم سلمة، قالت: كان جبريلُ عند النبي ﷺ وحسينٌ معي، فبكي فتركته، فأتى النبيَّ ﷺ، فأخذته فبكى، فأرسلتُهُ، فذهب إليه فقال له جبريل: أتحبُّه يا محمدُ فقال: نعم. فقال: إن أمَّتك ستقتُله، فإن شئتَ أريتُك تربة أرضهِ التي يُقتل بها. فبسط جناحه إلى الأرضِ التي يُقتل بها يقالُ لها كربلاء، وأخذ بجناحه فأراهُ إياه، قال حمادٌ: فأخبرني أبان، أو غيره أن الحسينَ لما نزل

كربلاءَ شمَّ الأرض، وسألهم عن اسمها فقالوا: كربلاءُ فقال: كربٌ وبلاءٌ فقُتل بها.

وروى عبد الله بن نَجيّ، عن أبيه أنه سار مع عليّ عليه السلام، وكان صاحبُ مِطْهرته فلما حاذى نِينوى، وهو منطلق إلى صفّين نادى عليٌّ: اصبرْ أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشَطّ الفُرات. قلت: وما ذاك؟ قال: دخلتُ على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان قلت: يا نبيّ الله أغْضبكَ أحدٌ ما شأنُ عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبريل قبل، فحدَّثني أن الحسينَ يُقتلُ بشطِ الفرات، وقال لي هل لك أن أشمّكَ من تربته قلتُ: نعم فمدَّ يده، فقبض قبضة من ترابٍ فأعطانيها، فلم أملِك عينيَّ أن فاضتا.

وروى عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار أشعثَ أغبرَ معه قارورةٌ فيها دمٌ يلتقطه، أو يتتبعُ فيها شيئًا، قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: دمُ الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعُهُ منذ اليوم. قال عمار: فحفِظَنا ذلك اليوم فوجدناه قُتل ذلك اليوم.

إنما رحل الحسين إلى القوم، لأنه رأى الشريعة قد رفضت، فجدَّ في رفع قواعد أصلها الجد ﷺ، فلما حضروه حصروه، فقال دعوني أرجع. فقالوا: لا، انزل على حكمِ ابن زياد. فاختار القتل على الذُّل، وهكذا النفوس الأبية.

تأبى الدناءَة لي نفسٌ نفاستُها ... تسعى لغيرِ الرّضا بالرّيّ والشّبعِ

فلاكتساب العلا حلّي ومُرتحلي ... وفي حمى المجد مصطافي ومُرتَبعي

لي همّة ما أظنُّ اللَّحظَ يُدركها ... إلا وقد جاوزت في كلّ مُمتَنعِ

لا صاحبَتْني نفسٌ إن هممتُ بأنْ ... أرمي بها لهواتِ الموتِ لم تُطعِ

ولقد تبع طريق الحسين عبد الله بن الزّبير، فإن الحجاج عرض عليه الأمان فقال: والله لضربةٌ بسيفٍ في عزّ أحبُّ إليَّ من حياةٍ في ذلّ! وكان يحاربهم وينشد:

إصبرْ عصامُ إنه شِبْراقْ قد سَنَّ أصحابُك ضَرْبَ الأعناقْ
وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ

فقيل له: قد لِحق فلانٌ وفلان بالحجاج. فأنشد:

فرَّت سلامان وفرَّتِ النَّمِرُ قد نتلاقى معهم فلا نفِرُّ

وكانوا يرمون بالحجارة، فيقال له: ما تأمنُ أنْ يصيبَك حجرٌ؟ فيقول:

هوِّن عليكَ فإنَّ الأمورَ بكفّ الإلهِ مقاديرُها
فليس بآتيك مَنْهيّها ولا قاصرٌ عنك مأمورُها

ولبس درعًا وجاء، يودّع أمَّه أسماء فقالت: ما هذا الدرعُ؟ فقال: والله ما لبستُه إلا لأقوّيَ نفسَك!

فإني ليغنيني عن السيفِ عزْمتي فهل فيه ما يُغنيهِ عن كفّ ضاربِ
إذا عَرْضُ الدنيا ألان صلابها شمختُ بأنفي عنه وازور جانبي
فلا تنتسب إلا إلى بُعدِ همّةٍ ولا تكتسِب إلا بحر المقانبِ
فإنَّ دَنِيّاتِ السجايا إذا هوى بها المرءُ لم ينفعه عزُّ المناصب

لله دَرُّ هذه الأنفس، فما أعزَّها، وهذه الهممُ فما أرفعها!

ولما رأوا بعض الحياة مذلةً عليهم وعزَّ الموتِ غير محرّمِ
أبَوْا أن يذوقوا العيش والذمُّ واقعٌ عليه وماتوا مِيتةً لم تُذَمَّمِ
ولا عجبٌ للأسدِ إن ظفرتْ بها كلابُ الأعادي من فصيحٍ وأعجمِ
فحربةُ وَحْشيٍ سقتْ حمزة الردى وحَتْفَ عليّ في حسامِ ابن مُلجمِ

أخبرنا علي بن عبيد الله أخبرنا علي بن أحمد السريّ، أنبأنا عبد الله بن

بطة، حدثنا أبو حامد محمد بن هرون الحضرمي، حدثنا هلال بن بشرن حدثنا عبد الملك بن موسى عن هلال بن ذكوان، قال: لما قُتل الحسين مطرنا مطرًا بُقي أثرهُ في ثيابنا مثل الدم.

قلت: لما كان الغضبانُ يحمرُّ وجهه، فيتبين بالحُمرةِ تأثيرُ غضبهِ، والحق سبحانه ليس بجسم، أظهر تأثير غضبه بحمرة الأفق حين قُتلَ الحسين.

وبالإسناد قال ابن بطة: وحدثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي، حدثنا سليمان ابن حرب، عن حماد بن زيد، عن هشام، عن محمد بن سيرين، قال: لم تُرَ هذه الحمرة في السماء حتى قُتل الحسين.

قال ابن بطة: وحدثنا أبو ذر الباغندي، حدثنا حماد بن الحسين الوراق، قال: سمعتُ عليَّ بن أخي شعيبِ بن حربٍ يقول: ناحتِ الجنُّ على الحسين بن علي فقالت جنية:

جاءتْ نساءُ الحيّ يبكينَ شجيّاتِ ... ويلطمنَ خدودًا كالدَّنانيرِ نقياتِ

ويلْبَسنَ ثيابَ السُّودِ بعد القَصبيّاتِ

وروَينا في حديثٍ أنه حفظ من قول الجن:

مسحَ النبيُّ جبينَهُ ... فله بريقٌ في الخدودِ

أبواه من عَلْيا قريشٍ ... وجدُّه خيرُ الجدودِ

وقال جنيّ آخر:

أبكي قتيلا بكربلاءِ ... مضرَّجَ الجسمِ بالدّماءِ

أبكي قتيلًا بكى عليهِ ... حُزنا بنو الأرضِ والسماءِ

أبكي قتيل الطغاة ظلمًا ... بغير جُرْم سوى الوفاءِ

هَتّك أهلوه فاستحلُّوا ... ما حرَّم الله في الإماءِ

يـا بـأبي جـسـمـهُ المُـعـرّى إلا مِـنَ الـدّيـنِ والحـيـاءِ
كـلُّ الـرّزايـا لهـا عـزاءٌ ومـا لِـذا الـرُّزْءِ مـن عـزاءِ

وروينا أن صخرةً وُجدت قبل مبعث النبي ﷺ بثلاث مائة سنة، وعليها مكتوب باليونانية:

أيرجو معشرٌ قتلوا حسينًا شفاعة جـدّه يـوم الحسابِ

ويح قاتل الحسين! كيف حاله مع أبويه وجده!

لا بدَّ أن تَـرِدَ القيامةَ فاطمٌ وقميصها بدم الحسينِ ملطَّخُ
ويـلٌ لمـن شفعاؤه خصماؤه والصُّورُ في يوم القيامة يُنفخُ

إخواني: بالله عليكم مَنْ قَبُح على يوسف بأي وجهٍ يلقى يعقوب!

لما أُسر العباسُ يوم بدرٍ سمع رسول الله ﷺ أنينه فما نام، فكيف لو سمع أنين الحسين؟

لما أسلمَ وحشيّ قال له: غيّب وجهك عني[1]. هذا والله والمسلم لا يؤاخذ بما كان في الكفر، فكيف يقدر الرسول ﷺ أن يُبصِرَ من قتل الحسين؟

قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[2].

لقد جمعوا في ظلم الحسين ما لم يجمعه أحد، ومنعوه أن يرد الماء فيمن ورد، وأن يرحل عنهم إلى بلدٍ، وسبّوا أهله وقتلوا الولد، وما هذا حد دفع عن الولاية هذا سوء معتقد.

نبع الماء من بين أصابع جده، فما سقوه منه قطرة!

كان الرسول ﷺ من حبّ الحسين يقبلُ شفتيه، ويحمله كثيرًا على عاتقيه،

(١) هذا كان بطريق العرض عليه من غير إيذاء له ولا تعنيفٍ عليه.
(٢) الإسراء ٣٣.

ولما مشى طفلًا بين يدي المنبر نزل إليه، فلو رآه مُلقى على أحد جانبيه والسيوف تأخذه والأعداء حواليه والخيل قد وطئت صدره ومشت على يديه، ودماؤه تجري بعد دموع عينيه لضجَّ الرسول ﷺ مستغيثًا من ذلك ولعزَّ عليه.

كربلا ما زلت كربًا وبلا ... ما لقِي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صُرِعوا ... من دمٍ سال ومن دمعٍ جرى
يا رسول الله لو عاينتهم ... وهم ما بين قتلٍ وسبا
من رميض يُمنع الظلَّ ومن ... عاطشٍ يُسقى أنابيبَ القنا
لرأت عيناك فيهم منظرًا ... للحشا شجوًا وللعين قذى
ليس هذا لرسول الله يا ... أمة الطغيان والمين جزا
غارس لم يأل في الغرس لهم ... فأذاقوا أهله مرَّ الجنى
جزروا جزر الأضاحي نسله ... ثم ساقوا أهله سوق الإما
هاتفاتٍ يا رسول الله في ... بُهرِ السعي وعثرات الخُطا
قتلوه بعد علْمٍ منهم ... أنه خامس أصحاب الكسا
يا جبال المجد عزًّا وعلا ... وبدور الأرض نورًا وسنا
جعل الله الذي نالكم ... سبب الوجد طويلا والبكا
لا أرى حزنكم يُنسى ولا ... رُزأكم يُسلى ولو طال المدى

سبحان من رفع للحسين بقتله مكانًا، ودمغ من عاداه، فعاد بعد العز مهانا، ما ضره حين الشهادة من أوسعه خِذلانا ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ هلك أهل الزَّيع والعناد، وكأنهم ما ملكوا البلاد وعاد عليهم اللعن كما عاد على عاد، أين يزيد أين زياد، كأنهما ما كانا لا كانا ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

تمتعوا أياما يسيرة، ثم عادت أجنحة المَلِكِ كَسيرة، وبقيت سيرة الحسين أحسن سيرة، ومن عزَّت عاقبته والسيرة فكأن لم يلق هوانا ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

مُزِّقوا والله كلَ مُمزّق، وتفرقوا بالشَّتات أي مُتفرق، وظنُوا أنهم رفَوا ما جنوا فتخرَّقَ، إن ناصر المظلوم لا يتوانى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

تعززوا على مثل الحسين وطالوا، وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا، وكيل لهم من الذم أضعاف ما كالوا، وعجل قلعهم من السلطة فزالوا سلطانًا سلطانا ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

ويلهم لو دُبروا أمرهم لرفعوا بطاعة الحسين قدرهم، ملكوا أيامًا ثم بقي الخزيُ دهرهم، اشتغلوا اليوم بتسبيحكم، ودعوا ذكرهم أهوانا ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾. وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم» انتهى النقل من كتاب التبصرة.

فاجعة الأمّة في مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه

وفي عاشوراء من واحد وستين للهجرة، استُشْهِدَ قمر بيت النّبوة المحمّدية سيّدنا الإمام أبو عبد الله الحسينُ بنُ عليّ رضي الله عنهما، وذلك بعد خروجه بطلب من أهل الكوفة الذين استنجدوا به بعد موت معاوية وقبل مبايعة يزيد عليه لعنات الله.

وملخص ما جاء في استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه قبل أن نسبر أغوار تفاصيل تلك الفاجعة في كتابنا هذا، أنّ أهل الكوفة لما بلغهم موت معاوية وخلافة يزيد، كتبوا كتابًا إلى الحسين يدعونه إليهم ليبايعوه، فكتب لهم جوابًا مع رسوله وسيَّر معه ابن عمه مسلم بن عقيل، فلما وصل إليهم اجتمع بعض أنصاره عليه، وأخذ عليهم العهد والميثاق بالبيعة للحسين وأن ينصروه ويحموه، ولما أراد الحسين المسير إلى العراق نهاه أصحاب الرأي كابن عباس وابن عمر وغيرهما فلم يأخذ بقولهم.

وتوجّه فبلغ توجُّهُه يزيدَ فولى العراق عبيد الله بن زياد وأمره بمقابلة وقتال الإمام الحسين، فدخل ابنُ زياد الكوفة قبل الحسين وظفر بمسلم بن عقيل فقتله، وأرسل جيشًا لملاقاة الحسين وأمّر عليهم عمرَ بن سعد بن أبي وقاص، وكان الحسين وصل مع أصحابه إلى كربلاء وحطّ أثقاله في ذلك المكان، فلم يجد أحدًا من أهل العراق ممن كاتبه!

فلما التقى عمرَ بنَ سعد تهيّأ الحسين ومعه اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلًا، وتهيأ عمر بن سعد بأربعة ءالاف مقاتل، ودارت رحى الحرب والحسين رضي الله عنه يدافع عن يمينه وعن شماله، حتى وجد به ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة. وكان عمره يوم قُتل ستًا وخمسين سنة وخمسة أشهر وقيل كان ابن ثمان وخمسين سنة. وكان استشهاده عليه السلام يوم الجمعة في العاشر من محرم سنة إحدى وستين من الهجرة الشريفة.

ترجمة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام

لقد أكرم الله ءال بيت النبيّ الأعظم ﷺ بمنزلة عظيمة وقرابة زكيّة فاخرة، وجعل منهم الأئمة الكرام والعلماء الأعلام، فكانوا للناس مصابيح هداية يضيئون وسط ظلام الفتن وطغيان الفساد، ويذودون عن حياض الشريعة الغرّاء باللّسان والسّنان، قائمين بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لا يخافون في سبيل الله لومة لائم، لُيوثًا في مواطن الحقّ والجهاد، وبحورًا في العلم والدّراية، ورثوا من علوم جدّهم المصطفى ﷺ ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وساروا على هديه ودربه، فجزاهم الله عن أمّة نبيّه خيرًا عظيمًا.

وها نحن إذ نعرض للكلام عن أهل البيت الطّاهرين الكرام، نتناول الكلام في مآثر شخصية كبيرة فذّة من كبار رجالات ءال البيت الصّالحين، الإمام الشّهيد الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

فهو ابن بنت سيدنا رسول الله ﷺ، وأحد أفراد العترة النبوية المطهرة التي طهّرها الله تعالى من الرجس، ودعا لهم نبيُّه المصطفى عليه الصلاة والسلام، فرضي الله عنهم وعن المؤمنين الصادقين الصالحين الذين تمتلأ قلوبهم، وتفيض مشاعرهم بأصدق الحبّ والوفاء، والتّوقير والإجلال لشخص الحسين العظيم، إذ يرون فيه من أنوار النّبوة والسّجايا الكريمة والخلال الفاضلة ما يذكّرهم دائمًا بجدّه ﷺ، فقد كان رضي الله عنه كأنّه نور على نور، يجلّه كلُّ مَنْ يلقاه، ويحبّه كلّ من يراه، لِما كان عليه من شبه عظيم بجدّه عليه الصلاة والسلام في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ، ولما كان يشيع في محياه من نوره وكماله وعظمته وهيبته.

ومن هنا تربطنا بسيدنا الحسين رابطة من أقوى الرّوابط وأعظمها، اعترافًا بفضله، وتقديرًا لشخصه، وامتدادًا لحبّ جدّه المصطفى ﷺ، وشكرًا لفضل الله تعالى علينا ورحمته بنا.

مولده الميمون ونسبه المصون

في السنة الرابعة من الهجرة المباركة وهناك على أرض المدينة المنورة، طيبة التي طابت وتنورت بقدوم الرسول الأكرم ﷺ، ولد سبطا رسول الله عليه الصلاة والسلام الحسنان الشهيدان، وجاءت ولادة الحسين بعد أخيه الحسن بسنة وعشرة أشهر على الأَشْهَر.

وُلِدَ ذاك الإمام العظيم أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ خامس أهل الكساء، السّند الشّريف والسّيد العفيف الكرّار ابن الكرّار، من أمّ تقية طاهرة مباركة هي فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين الأعظم ﷺ، ففرح لولادته القلب وقرّت به العين كما قرّت بأخيه من قبل، وحظي بحب كبير من جدّه رسول الله ﷺ، مع ما ناله من البركة والخير حيث إنّ الرسول عليه الصلاة والسلام عقَّ عنه وعن الحسن كبشًا كبشًا، ووزنت له أمّه شعرَهُ وشعرَ الحسن وأمّ كلثوم فتصدقت بِزِنَتِهِ فِضّة، واختار له الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الاسم اللامع كما اختار اسم أخيه الحسن من قبل، فقد أخرج الطبرانيّ بسنده عن سالم عن أبي الجعد قال: قال عليّ رضي الله عنه: كنت رجلًا أحبّ الحرب، فلما وُلِدَ الحسنُ هممت أن أسمِّيه حربًا، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسن، فلما وُلِدَ الحسينُ هممت أن أسمِّيه حربًا فسماه الحسين.

وقد ذكر أن اسم الحسن والحسين لم يكونا معروفين في الجاهلية، حتى سمى بهما رسول الله ﷺ سبطيه الحسنين كما ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» وغيره.

رضاعته

زعم قوم أنّ الحسين لم ترضعه أنثى، يقصدون بذلك تعظيمه، وفضله غير محتاج إلى زيادة، وقد ثبت أنّ رضاعه كان كسائر الناس، وأن أم الفضل هي التي

أرضعته، بدليل ما رواه ابن ماجه[1]: «عن قابوس، قال: قالت أم الفضل: يا رسول الله، رأيت كأنّ في بيتي عضوًا من أعضائك، قال: «**خيرًا رأيت، تلد فاطمة غلامًا فترضعيه**»، فولدت حسينًا، أو حسنًا، فأرضعته بلبن قثم (ابن أم الفضل)، قالت: فجئت به إلى النبيّ ﷺ، فوضعتُه في حجره، فبال، فضربت كتفه، فقال النبيّ ﷺ: «**أوجعتِ ابني، رحمكِ الله**» اهـ.

ذكر شيء من صفته عليه السلام

كان الإمام الحسين رضي الله عنه سيدًا وسيمًا جميلًا، فصيحًا عالـمًا، عاقلًا رزينًا محتشمًا، جوادًا كريمًا كثير الخير، ديِّنًا ورعًا، كبير الشأن عظيم القدر، وقد ورث عن جدّه المصطفى عليه الصلاة والسلام فيما ورث من أخلاقه الكريمة وشمائله الطيبة وسجاياه الحميدة ما جعله من أعظم الناس قدرًا وكمالًا.

وكان فيه ملامح من جدّه ﷺ ومن أبيه رضي الله عنه، ويقال إنه كان في شدّته وبأسه أقرب إلى أبيه، ولذلك قال والده رضوان الله عليه[2]: «**أشبه أهلي بي الحسين**» اهـ. وكان يشبه بخِلقته بعض صفات جدِّه رسول الله ﷺ، فعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: الحسين أشبه برسول الله من صدره إلى قدميه، وعن عبيد الله بن يزيد قال: رأيت الحسين بن عليّ أسود الرأس واللحية إلا شعرات في مقدم لحيته، ورُوِيَ أنّه كان يصبغ شعره بالوَسمة وهي نبت يختضب به وكان مع ذلك طويل الشعر يضرب أحيانًا إلى منكبيه.

وكان رضي الله عنه قويّ البنية، ربعة القامة، واسع العينين، حَسَنَ الوجه، عريض المنكبين، ضخم العضلات، يتكفّأ في مشيته على نحو يقارب مشية النبيّ ﷺ، يتلألأ محياه بإشراق من نور جدّه عليه الصلاة والسلام، وتشيع في سمته قسمات من جلالته وهيبته، وكان في صوته غنّة محببة، ونبرات قوية مؤثرة، جعلت منه خطيبًا مفوَّهًا.

---

(١) سنن ابن ماجه، رقم (٣٩٢٣).

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، (٢/ ٤٣٦).

جملة من مناقبه وفضائله العظيمة

لقد كان سيّدنا الحسين رضوان الله عليه إمامًا عظيمًا وسيّدًا سندًا جليلًا، سيفًا من سيوف الحقّ، وجبلًا يمشي على قدمين، كريم الأصل شريف النسب، ذا مرتبة عالية ورفعة بالغة، تعلَّم وسمع من جدّه الرسول عليه الصلاة والسلام، فحدَّث عنه وعن أبويه وعن الفاروق عمر وطائفة أخرى، وحدّث عنه والداه عليّ وفاطمة وابن أخيه زيد بن الحسن وبنته سُكَيْنَة والشعبيّ والفرزدق الشاعر وغيرهم، وكان عالماً مبجَّلًا وسيدًا معظّمًا محترمًا، يجلّه الناس وكبراء أصحاب النبيّ ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من طليعة القوم، ويعرفون ما للحسين من قدر ومقام، فقد وردت في شأنه الفضائل وتعدّدت فيه المكارم، فكان صفوة من الرجال، وخِيرةً من القوم، عابدًا زاهدًا خاشعًا كثير العبادة، فاضلًا يكثر من الصلاة والصيام والحجّ، حتى قيل إنه حجَّ خمسًا وعشرين حجَّة ماشيًا، وكان كريمًا كثير الصدقات يرحم المسكين ويعين الضعيف، شملته دعوة جدّه الرسول الأكرم ﷺ لما جلَّله هو والحسن وفاطمة بكساء ثم قال[1]: **«اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللّهم أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا»**.

إنّ رجلًا أحبَّه الرسول عليه الصلاة والسلام جدير أن يكون بهذه الصفات وبهذه المكارم العالية، كيف لا وهو الحِبُّ أخو الحِبّ كما دلّت على ذلك الأخبار، وشهدت بذلك النّقول الصّريحة والآثار، ففي جامع الإمام الترمذيّ[2] أنّ النبيّ ﷺ دعا للحسن والحسين فقال: **«هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهم إني أحبُّهما فأحِبَّهما**

---

(١) سنن الترمذيّ، الترمذيّ، (٥/ ٣٥١)، رقم (٣٢٠٥). وتمام الرواية: «عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب، ٣٣) في بيت أم سلمة فدعا فاطمةَ وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعليٌّ خلف ظهره فجلّلهم بكساء، ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»** قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: **«أنت على مكانك، وأنت على خير»** اهـ.

(٢) سنن الترمذيّ، (٥/ ٦٥٦)، رقم (٣٧٦٩).

وأَحِبَّ من يحبُّهما». وفي المسند عند أحمد[1] والطبرانيّ[2] وغيرهما عن أبي سعيد مرفوعًا: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**» رواه البخاريّ[3]، وفي السنن عند الترمذيّ[4]: «**الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا**».

وروى الترمذيّ[5]: «عن زر بن حبيش، عن حذيفة قال: سألتني أمّي: متى عهدك؟ تعني بالنبيّ ﷺ. فقلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا! فنالت مني! فقلت لها: دعيني ءاتي النبيَّ ﷺ، فأصلي معه المغرب، وأسأله أن يستغفر لي ولك. فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فصلّيتُ معه المغرب فصلّى حتى صلّى العشاء، ثم انفتل فتبعته، فسمع صوتي فقال: «**من هذا، حذيفة؟**» قلت: نعم. قال: «**ما حاجتك غفر الله لك ولأمّك**» قال: «**إن هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلِّم عليَّ ويبشِّرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» اهـ.

وفي حديث عند الحاكم[6] «عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن و الحسين ابناي، مَنْ أحبَّهما أحبَّني، ومَنْ أحبَّني أحبَّه الله، ومَنْ أحبَّه الله أدخله الجنة، ومَنْ أبغضَهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار**» اهـ.

وروى أحمد[7]: «عن أبي المقدام عبد الرحمن الأزرق عن عليّ رضي الله عنه قال: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، (٣/ ٣)، رقم (١١٩١٢).
(٢) المعجم الكبير، ٣/ ٦١، رقم (٢٥٣٤).
(٣) صحيح البخاريّ، باب مناقب الحسن والحسين، رضي الله عنهما. (٥/ ٣٢)، رقم (٣٧٥٣).
(٤) سنن الترمذيّ، (٥/ ٦٥٧)، رقم (٣٧٧٠).
(٥) المرجع نفسه، باب مناقب الحسن و الحسين عليهما السلام، (٥/ ٦٦٠)، رقم (٣٧٨١).
(٦) المستدرك، الحاكم، (٣/ ١٨١)، رقم (٤٧٧٦).
(٧) مسند أحمد، (١/ ١٠١)، رقم (٧٩٢).

- أي طلب أن يشرب -، فقام النبيّ ﷺ إلى شاة لنا، فحلبها فدرّت، فجاءه الحسن فنحّاه النبيّ ﷺ، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنّه أحبهما إليك؟ فقال: «لا، ولكنّه استسقى قبله» ثم قال: «إنّي وإيّاك وهذان وهذا الرّاقد في مكانٍ واحدٍ يوم القيامة» اهـ.

تَحَلُّقُ الناسِ حوله حبًّا به وبجدّه وأبيه وأمّه عليهم السلام

وكان رضي الله عنه يسير على هدى جدّه ﷺ ويتبع سنّته العطرة، كما كان أكبر همّه في الحياة الدعوة إلى الله تعالى، وإعلاء كلمة الحقّ، ونشر الإسلام، وهداية الناس إلى الطريق المستقيم. وكان دائمًا يجلس في مسجد رسول الله ﷺ يلقي دروسه ومواعظه، والناس من حوله يتزاحمون في حلقات، حريصين إلى الاستماع لدرره وجواهره، والنّهل من علمه، والتزوّد من فقهه وورعه، بقلوب واعية، وءاذان صاغية، ينصتون في شوق إلى ما يفيضه الله تعالى من تجلّيات وأنوار وكأنَّ على رؤوسهم الطير، وشهد له الناس جميعًا بذلك، فحينما سأل رجل من أهل الشام معاوية: أين أجد أبا عبد الله الحسين؟ أجابه بقوله: إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله، مؤتزرًا إلى أنصاف ساقيه.

وكان الصحابة الكرام يضعون سيدنا الحسين موضع التكريم، وكانوا يتسابقون لمجلسه لينهلوا من علمه وورعه وتقواه، كما تسابقوا لخدمته وإظهار التوقير والاحترام له، فهذا حبر الأمة وترجمان القرءان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع عظم مكانته بين المسلمين، كان يمسك بركاب الحسين والحسن عليهما السلام احترامًا ومحبة لهما، قال مدرك بن عمارة[1]: «رأيت ابن عباس ءاخذًا بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركابهما وأنت أسنُّ منهما؟ فقال: إن

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، (٢/ ٤٣٧).

هذين ابنا رسول الله ﷺ، أوليس من سعادتي أن ءاخذ بركابيهما؟» اهـ.

إنّ رجلًا هذه منزلته عند رسول الله ﷺ حريّ به أن يكون عظيم الصلاح فيحبّه الناس ويجلوه، حتى إنّ سيدنا عمر رضي الله عنه كان جعل للحسين مثل عطاء الإمام عليّ خمسة ءالاف، وكان يكرمه ويوقّره، فقد ذكر الذهبيّ في السِّيَر عن حمّاد عن معمر عن الزهريّ أنّ عمر كسا أبناء الصحابة ولم يكن في ذلك ما يصلح للحسن والحسين، فبعث إلى اليمن فأتي بكسوة لهما فقال: الآن طابت نفسي.

وفي أثر ءاخر عن أبي المهزم قال[1]: كنّا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة رضي الله عنه، فجيء بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة، فصلى عليها، فلما أقبلنا أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: يا أبا هريرة، وأنت تفعل هذا؟! فقال أبو هريرة: دعني، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم، لحملوك على رقابهم» اهـ.

ومعلومٌ أنّ سيّدنا أبا هريرة رضي الله عنه كان يجلّ الحسنين ويحترمهما ويحبُّهما حبًّا برسول الله ﷺ، وقد حدَّث مرّة فقال: «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان إذا سَجَدَ وثَبَ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما على ظهره، فإذا أراد أن يركعَ أخذهما بيدِهِ أخذًا رقيقًا حتى يضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاته وانصرف ووضعهما على فخذيه، قال أبو هريرة: فقمتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، أذهب بهما؟ قال: «لا»، فبرقت برقة، فقال: «الحقا بأمكما»، فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا» اهـ. رواه الطبرانيّ[2].

وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال[3]: مرّ الحسين بمساكين يأكلون في الصُّفَّة فقالوا: الغداء، فنزل وقال: إن الله لا يحبّ المتكبرين، فتغدّى ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله، فقال للرّباب: أخرجي ما كنت تدّخرين» اهـ.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (٢/ ٤٣٧).
(٢) المعجم الكبير، الطبرانّي، (٣/ ٨٦)، رقم (٢٥٩٣).
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (٢/ ٤٣٧).

من أشعار الحسين عليه السلام

ومن شعره عليه السلام[1]: (الطويل)

لئن كانت الدنيا تعَدُّ نفيسةً   فـدارُ ثـوابِ اللهِ أعـلى وأنبلُ

وإن كانت الأبدان للموت أنشئت   فقتلٌ في سبيلِ اللهِ بالسيف أفضلُ

وإن كانت الأرزاق شيئًا مقدّرًا   فقلّة سعي المرء في الكسب أجملُ

وإن كانت الأموال للتّرك جمّعت   فما بال متروكٍ به المرء يبخلُ

وقال كذلك رضي الله عنه: (الخفيف)

كلّما زيد صاحب المال بمالٍ   زيد في همّه وفي الإشتغالِ

قد عرفناك يا منغّصة العيـ   ـش ويا دار كلّ فانٍ وبالِ

ليس يصفو لزاهد طلب الزهْد   إذا كان مُثْقَلًا بالعيالِ

وكذلك قوله من شعره رضي الله عنه: (السريع)

اغْنَ عن المخلوق بالخالقِ   تغن عن الكاذب والصادقِ

واسترزقِ الرحمنَ من فضله   فليس غير الله من رازقِ

من ظنّ أنّ الناس يغنونه   فليس بالرحمن بالواثقِ

أَوْ ظَنَّ أنّ المال من كسبه   زلّت به النعلان من حالقِ

---

(١) المرجع نفسه، (٢/ ٤٣٨).

من كراماته رضي الله عنه

قال أبو عون[1]: «لما خرج الحسين بن عليّ من المدينة يريد مكة، مرَّ بابن مطيع وهو يحفر بئره فقال له: أين فداك أبي وأمّي؟ قال: أردت مكة. وذكر له أنّه كتب إليه شيعته بها، فقال له ابن مطيع: إنّي فداك أبي وأمّي، متّعنا بنفسك ولا تسِر إليهم، فأبى الحسين، فقال له ابن مطيع: إنّ بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوار - أي شديد الحرارة -، ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة، قال: هات من مائها، فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه ثم تمضمض ثم ردّه في البئر فأعذب وأمرى» اهـ.

شجاعته وإقدامه عليه السلام

أمّا في مجال الشجاعة والإقدام، فقد كان الإمام الحسين رضي الله عنه من أشجع الناس قلبًا، وأثبتهم جَنانًا، وأربطهم جأشًا، وأصبرهم في مواقف البأس والنضال، ولا عجب فقد ورث ذلك عن جدّه عليه الصلاة والسلام، ووالده رضي الله عنه.

فجدّه ﷺ كان ثابت العقيدة لا يتحوّل عن مبادئه العظيمة، ولا يحيدُ عن دينه، مهما واجهه من وعيد أو أغراه من وعد، وهو صاحب الكلمة النورانية[2]: «**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**»، وهو الذي كان يتقدّم الصحابة ويواجه الأعداء في الغزوات، بل إنهم كانوا يحتمون به إذا اشتدّ وطيس الحرب، وعظم هول القتال.

ونحن لا ننسى الإمام عليًّا رضي الله عنه، ومواقفه الشجاعة في مواجهة

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (٢/ ٤٣٧).
(٢) الروض الأنف، السهيلّي، (٢/ ٦).

صناديد الكفر وأئمة الطغيان، وهو الذي شهد معظم الغزوات والمواقع مع الرسول الأعظم ﷺ، وكان في مقدمة من شهدوا بدرًا وغيرها، وهو الذي عقدت له الراية في فتح خيبر التي فتحها الله على يديه، فهو أسد الهيجاء، وفارس المجاهدين في سبيل الله.

ولقد تعلَّم منه الإمام الحسين رضي الله عنه فنون الفروسية ومنازلة الأعداء، حتى نشأ على الجرأة واقتحام الأهوال وخوض المعارك، حيث يُروى أنّ الحسن رضي الله عنه قال لأخيه الإمام الحسين عليه رضوان الله: «أي أخي، والله لوددت أن لي بعض شدة قلبك، فقال له الحسين: وأنا والله وددت أن لي بعض ما بسط لك من لسانك»[1] اهـ.

وقد عرفنا كيف اشترك في الدّفاع عن عثمان رضي الله عنه يوم الدّار، كما كان في صفوف المجاهدين في فتح شمال إفريقيا وطبرستان والقسطنطينية، وسنرى من قصة جهاده واستشهاده كيف كان قويّ الإيمان، ثابت الجَنان، عظيم الإقدام، لا يخشى في الله لومة لائم، وسنرى كذلك أنه لم يكن يقول إلا ما يعتقد من حقٍّ، ولا ينطق إلا بما يؤمن به من حقٍّ، ولا يتحرّج من إعلان الرأي وإظهار الحقّ في وجه البطش والطغيان، ألم يعلن رأيه بصراحة في بيعة يزيد؟ ألم يمتنع عن بيعته لأنه لا يثق بأهليته للحكم؟ ألم يسعَ إلى الكوفة وهو يعلم أنه يواجه المكاره ويلاقي الشدائد؟ لقد عاش رضي الله عنه شجاعًا، باسلًا، مجاهدًا، ومات شهيدًا بل سيدًا من سادات الشهداء.

استشهاده عليه السلام

أقام الحسين رضي الله عنه مع جدّه المصطفى ﷺ سبع سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعًا وثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن رضي الله عنه سبعًا وأربعين سنة، وكانت مدة حياته بعد أخيه إحدى عشرة سنة، فيكون قد عاش نحو ثمانية وخمسين عامًا.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (٢/ ٤٣٧).

وفي كتابنا هذا سنتوسّع إن شاء الله تعالى في قصة استشهاده كما يذكرها أهل السنة والجماعة، من غير زيادة ولا نقصان.

وقد ذكر الذّهبيّ في السّير[1] وغيره عن عمارة بن زاذان: حدّثنا ثابت عن أنس قال: استأذنَ ملك القطر - أي المطر - على النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «يا أمّ سلمة، احفظي علينا الباب»، فجاء الحسين فاقتحم وجعل يتوثب على النبيّ ﷺ ورسول الله يقبّله فقال الملكُ: أَتُحبُّه؟ قال: «نعم» قال: إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، قال: «نعم»، فجاء بسهلة أو تراب أحمر، قال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء.

وروى أحمد[2] عن عبد الله بن نجيّ عن أبيه: أنه سار مع عليّ رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى عليّ رضي الله عنه: اصبر أبا عبد الله! اصبر أبا عبد الله بشط الفرات! قلت: وماذا؟ قال: دخلت على النبيّ ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «بل قام من عندي جبريل قبل، فحدّثني أنّ الحسين يُقْتَلُ بشط الفرات»، فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا» اهـ.

دفنه عليه السلام

ذُكر أنه لما قتل الحسين عليه السلام جيء برأسه إلى يزيد فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده فقال له أبو برزة الأسلميّ: تنكث قضيبك في ثغر الحسين، والذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم أغلظ له في الكلام جدًا وقام من مجلسه فانصرف. ودفن الجسد الكريم بكربلاء، واختلف في محل رأسه فقيل: دفن بدمشق وعليه أكثر المؤرخين ثم نُقل إلى مصر.

---

(١) سير أعلام النبلاء، (٣/ ٢٨٨).

(٢) مسند أحمد، (١/ ٨٥)، رقم (٦٤٨).

وروى ابن كثير[1] أنّه ذكر هشام بن الكلبي أنّ الماء لما أجري على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يومًا، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمّها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال: بأبي أنت وأمّي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك !! ثم أنشأ يقول: [الطّويل]

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبرِ

ثم قال ابن كثير في الصحيفة نفسها: «ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس، فروى محمد بن سعد أنَّ يزيد بعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمّه السّيدة فاطمة عليها السلام بالبقيع».

(١) البداية والنهاية، (٨/ ٢٢١ – ٢٢٢).

حكم معاداة الأولياء وأهل البيت عليهم السلام

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى: «مَن عادى لي وليًّا فقد ءاذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشىءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها»[1]. أي أعطيه قوة غريبة في سمعه وبصره ويده ورِجْله. فالله لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شىء، وقال بعضهم والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحبّ طاعتي كما يحب هذه الجوارح، وهذا الوليّ مشغول بطاعتي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أحلّ الله له، فأحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره.

وقال بعض العلماء في تفسير الحديث: كنت له في النُّصرة كسمعه وبصره ويده ورِجْله في المعاونة على عدوه، وقيل: إنه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك، وهو معنى جميل.

والوليّ هو الذي أدّى الواجبات واجتنب المحرمات وأكثر من النوافل، فالطبقة العليا من المؤمنين بعد الأنبياء بالنسبة إلى البشر والجنّ هم الأولياء ثم سائر المؤمنين، أما الملائكة فكلهم أولياء الله وإن كانوا على درجات فيما بينهم، وأكبر الأولياء في البشر وأعلاهم درجة هم أولياء الصحابة، وأولياء أمة محمد ﷺ هم الذين عناهم الله بقوله في سورة براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، وهؤلاء الأولياء لا ينقطعون في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، يعني إلى وقت الرّيح التي تأتي فلا يبقى إلّا الكفّار.

---

(١) صحيح البخاريّ، كتاب الرقاق، باب التواضع، (٨/ ١٣١).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

ثم إنّ من كرامات الأولياء - أي مما يكرمهم الله به في الدنيا - إجابة الدّعوة، وتكثير القليل من الطعام، وعدم التأثّر بالسّم القاتل، وعدم الاحتراق بالنار.
أما إجابة الدعوة فهي كثيرة منها: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المكيّ القرشيّ أحد العشرة المبشرين بالجنّة، مجاب الدّعوة، إن دعا لشخص أصابته تلك الدعوة وإن دعا على شخص ظالم أصابته تلك الدعوة، وذلك أنّ رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللّهمّ أجب دعوته»[1]، فكانت دعوته مستجابة.

ومن ذلك ما رواه قيس بن أبي حازم وكان من أكابر التابعين الذين اجتمعوا بالصحابة قال: كنت في المدينة أطوف في السوق حتى بلغت أحجار الزيت، فلقيت أناسًا مجتمعين، وإذا برجل راكبٍ دابة بينهم، فجاء سعد بن أبي وقاص فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا رجل يشتم عليَّ بن أبي طالب، فتقدّم إليه فأفرجوا له، فقال سعدٌ: يا هذا، علام تشتم عليَّ بن أبي طالب؟ ألم تعلم أنّه أول من أسلم من الفتيان؟ ألم تعلم أنّه أول من صلى مع رسول الله؟ حتى قال: ألم تعلم أنّه خَتَنُ رسول الله - أي صهر رسول الله ﷺ؟ - ألم تعلم أنّه صاحب راية رسول الله في غزواته، ثم استقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللّهمّ إن كان هذا يشتم وليًّا من أوليائك، فلا تفرّق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك». فساخت به دابته فوقع على هامته على تلك الأحجار فانفلق دماغه فمات.

ثم بعد ذلك ذكر له أنّ رجلًا من حكّام بني أميّة الظّالمين قال في بيت مال المسلمين: «إنّ هذه أموالنا نفعل بها ما نشاء، ونمنع عنها من نشاء!» أي يعطون مَنْ يواليهم ويمنعون عن كثير ممن يستحقون، فقام سعد ليدعو عليه، فنزل ذلك الرجل خوفًا من أن يدعو عليه فتصيبه دعوته فيهلك، فقال: إنما هي أموال الله، فتراجع الرجل.

وهكذا ينتقم الله تعالى ممن يشاء ممن يؤذي أولياءه وينتهك حرمهم، وهذا الذي يؤذي الأولياء، لا يأمن أن يصيبه الله تعالى قبل موته بمصيبة تقصم ظهره جزاءً له على فعله. ثم يُعْلَم من هذا الحديث الصحيح أن أكابر أصحاب

---

(١) السير، الفزاري، (١/ ١٦٩)، رقم (٧٦).

رسول الله ﷺ هم المهاجرون الأولون، لم يكن بينهم حقد وعداوة، بل كان كل واحد منهم يعرف الفضل لأخيه الذي تجمعه به صحبته رسولَ الله ﷺ.

وكان أحد فقهاء اليمن سليط اللسان على الإمام الفقيه الولي الصالح محيي الدين النووي رضي الله عنه، وكان هذا اليمنيّ يؤذي النوويَّ، فلما مات اليمنيّ واسمه كمال الدين اندلع لسانه بشكل بشع، وجاء شيء يشبه الهرّة فاقتطع لسانه وذهب به واختفى! هذا بعض ما جازاه الله تعالى به قبل أن يُغَيَّب إلى بطن الأرض.

فالحذر الحذر من القدح والطعن في واحد من السابقين الأولين من المهاجرين أو الأنصار، والأنصار هم أهل المدينة الذين نصروا رسول الله ﷺ، فسماهم الله تعالى بهذا الأسم الشريف: ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ وهو اسم لم يكن لهم قبل الإسلام، إنما الإسلام شرّفهم به.

كذلك، ليحذر المؤمن المشفق على نفسه من التعرض لمعاداة أي وليّ من أولياء الله، وسعد بن أبي وقاص هو أفضل المؤمنين بعد الخلفاء الراشدين من الطبقة العليا، أما أبو هريرة فلا يعد من السابقين الأولين، لكنه يُعَدُّ من علماء الصحابة، ومن الّذين كان لهم حظّ وافر من حب الله ورسوله، وقد أدرك مع رسول الله ﷺ صحبة ثلاث سنوات لازمه فيها، فأخذ منه العلم الكثير الكثير لأنه كان متفرّغًا، ولم يكن متزوجًا، ولم يكن يشغله أهل ولا مال، فلم يكن يمتهن مهنة، ولا كان له ابن يشغله ولا أهل تقطعه خدمتهم عن ملازمة رسول الله ﷺ، فجمع في هذه السنوات من علم رسول الله ﷺ ما لم يجمعه كثير من الذين لازموا رسول الله ﷺ أكثر من عشر سنوات، والله تعالى هو ذو الفضل والمنّ، كما قال رسول الله ﷺ في بعض دعواته: **«لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»**[1].

فمن علامات المقت أن يجعل الإنسان همّه الطعن بهؤلاء الأولياء الأبرار الأطهار من المهاجرين والأنصار، والهجرة إلى رسول الله ﷺ لها مكانةٌ عاليةٌ عند الله. كان رجل من أصحاب رسول الله قد هاجر هو وصاحب له من بلادهما

---

(١) صحيح البخاريّ، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب الذكر بعد الصلاة، (١/ ٢١٤)، رقم (٨٤٤).

وتسمى «دوسًا» إلى المدينة المنورة، بعدما هاجر إليها رسول الله ﷺ بمدّة تركا وطنهما حبًّا في الله ورسوله، واغتربا إلى مدينة رسول الله ﷺ، وكان أحد الرجلين أصابه مرض، ثم اشتد عليه الألم فأخذ حديدة فقطع مفاصل يديه، فصار الدّم يشخب فمات بنزيف الدّم، ثم رءاه رفيقه المهاجر في الرؤيا برؤية حسنة، لم يره برؤية سيئة، فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي بهجرتي إلى النبيّ ﷺ، فإذا كان هذا حال هذا المهاجر الذي فعل أكبر الجرائم بعد الكفر بالله، فكيف يكون المهاجرون السابقون الأولون؟ إذا كان الله تبارك وتعالى شَبَّه غيبة الرجل المسلم من غير سبب شرعيّ من غير تقييد بالصالحين الأولياء بالذي يأكل من لحم أخيه ميتًا، فما يكون الذي يغتاب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليًّا أو أبا هريرة أو سعد ابن مالك أو غيرهم من الصحابة الكرام، أليس هذا بذنب عظيم ومعصية شنيعة؟

الله تعالى عظّم حرمة المؤمن، فقد ورد بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن عمر، قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: «**مَا أَطْيَبَكِ، وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلاَّ خَيْرًا**»[1]، وأما غيبة الأتقياء الصالحين فمعصية كبيرة، مَنْ أكثر منها ولم يتب، يكون من أهل عذاب القبر. فما أعظم خبث من يعادي واحدًا من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما أجهل من أقدم على الطعن فيمن زكاهم الله تعالى.

اللهم حَبِّبنَا بأولياءك، وحَبِّب أولياءِك بِنا، وتَوَفَّـنـا على كامل الإيمان.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، (٥/ ٨٥)، رقم (٣٩٣٢).

من الأسباب التي خرج لأجلها الإمام الحسين إلى كربلاء

بعد تنازل الإمام الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنًا لدماء المسلمين، ترك الكوفة وتوجّه مع الإمام الحسين رضي الله عنهما إلى المدينة المنورة ومعهم سائر ءال البيت المطهّر، وأقام بها سيّدنا الحسين أستاذًا ومرشدًا للناس، يرجعون إليه فيما يعرض لهم من مشاكل، ويستفتونه في أمور الدّين، وهو من هو فقهًا وعلمًا وتقوًى وبُعْدَ نَظَرٍ وصوابَ رأي.

وكان الناس يتحلّقون حوله بمسجد جدّهِ رسول الله ﷺ، حيث يفقههم في الدين، ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، ويعلّمهم ما يقرّبهم إلى الله تعالى. وكان مع ذلك ينفق أيامه ولياليه في التهجّد والقيام والصلاة والصيام، والتفرّغ لطاعة الله عزّ وجلّ والتزوّد بالتّقوى.

الإمام الحسين رضي الله عنه مع معاوية

لم يكد معاوية يستقلّ بأمر الخلافة، بعد تنازل الإمام الحسن عنها حتى أراد أن يحوّلها إلى مُلك عضود يتوارثه أبناؤه من بعده، بمعنى أنه أراد أن يجعلها دولة أُموية متعاقبة في ذريته دون مراعاة النظر هل هم أهل لها أم لا، فأخذ يتألف الناس ويتودّد إليهم، ثم صار يمهّد لبيعة ابنه يزيد، إلى أن أرسل إلى مروان بن الحكم، واليه بالمدينة في ذلك الوقت يقول له: «أمّا بعد، فإنّي قد كبر سنّي، ورقّ عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمّة بعدي، وكرهت أن أقطع أمرًا دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردّون عليك»[1].

فقام مروان خطيبًا فيهم وأخبرهم بما يراه معاوية، وقال: «إنّ أمير المؤمنين

---

(١) الكامل في التاريخ، (٢/ ١٤١).

قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده». فقام عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه معترضًا فقال: «كذبت والله يا مروان وكذب معاوية! ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية[1]، كلما مات هرقل قام هرقل!» فقال: «هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾»[2]! فسمعت السّيدة عائشة رضي الله عنها مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: «يا مروان، يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه». فقالت: «أنت القائل لعبد الرّحمن إنّه نزل فيه القرءان؟ كذبتَ! والله ما هو به ولكنّه فلان بن فلان، ولكنّك أنت فضضٌ[3] من لعنة نبيّ الله».

وكان ذلك التفكير في ولاية يزيد سنة ست وخمسين للهجرة، أي قبل أن يموت معاوية بنحو أربع سنين، حيث حرص على أن لا تنتقل الخلافة من بني أمية، ولذلك استمر في مشاوراته وتحضيراته لتولية ابنه يزيد، على الرغم من اقتناعه بسوء سلوكه، وحداثة سنه، وكثرة موبقاته، وعدم أهليته، وفي سبيل ذلك حاول أن يصلح من اعوجاجه، ويقوِّم من سلوكه، حتى يرضى الناس عنه. إلا أنه بقي على حاله ولم يغير من أخلاقه.

وأخيرًا عقد له البيعة من بعده، فوافقه الناس، ومنهم من كان ذا هوًى أو مطمع أو من كان يخشى سلطان معاوية. أمّا سّيدنا الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الرّحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس فإنّهم لم يبايعوا ولم يستريحوا لهذه البيعة، ولكنهم لم يعلنوا رفضها.

---

(١) أراد أنّ البيعة لأولاد الملوك سنّة ملوك الروم، وهرقل: اسم ملك الروم.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(٣) كل ما انقطع من شيء أو تفرق فهو فضض، أي أنك قطعة وطائفة منها.

الإمام الحسين رضي الله عنه ويزيد بن معاوية

لم يكد يزيد يتولّى الملك حتى وقف من كبار الصحابة الذين رفضوا دعوة معاوية لمبايعته، موقفًا معاديًا يتسم بالتهوّر والغلظة والجفاء، على الرغم من أن هؤلاء من كبار الصحابة، ولهم فضلهم وقدرهم، وهم أعلى شأنًا منه وأعظم مكانة في الإسلام، إذ إنهم فازوا بصحبة رسول الله ﷺ، وجاهدوا المشركين تحت لوائه، وكان منهم مَن هو في سنّ أبيه، وهو لم يكن قد تجاوز الرابعة والثلاثين من عمره، وكان في حياته الخاصة مستهترًا ماجنًا، وكان في طباعه جبارًا، لا يرعى حرمة ولا يهاب قدسية، ولا يخشى لومًا أو عتابًا.

ولم يعمل بوصيّة أبيه، ولم يقتدِ به في توقير الصحابة ومهادنة الخصوم، فتجاهل أقدارهم، وتنكر لفضلهم، وأمعن كلّ الإمعان في تحدّيهم والكيد لهم والنيل منهم، محاولًا بذلك أن يحملهم على التسليم له وإرغامهم على مبايعته.

بدايات الفتنة العمياء

وفي رجب من سنة ستين للهجرة بويع يزيد بن معاوية بالخلافة بعد موت أبيه[1]، على ما سبق من الخلاف فيه، فلما تولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، ولم يكن ليزيد همة إلا بيعة النفر الذين أَبَوْا على معاوية بيعته، فكتب إلى الوليد يخبره بموت معاوية[2]، وكتابًا ءاخر صغيرًا فيه:

---

(١) الكامل في التاريخ، (٢/ ١٥١).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، (٨/ ١٥٧): «كتب يزيد إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد فإن معاوية كان عبدًا من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوَّله ومكَّن له، فعاش بقدر ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محمودًا ومات برًّا تقيًّا والسلام. وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن الفأرة: أما بعد فخذ حسينًا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذًا شديدًا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام» اهـ.

«أما بعد، فخذ حسينًا وعبدَ الله بنَ عمر وابنَ الزبير بالبيعة أخذًا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام».

فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه وبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه، وكان مروان عاملاً على المدينة من قِبَلِ الوليد، فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارهًا، فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارمًا[(١)] له حتى جاء نعي معاوية، فلما عظم على الوليد هلاكه وما أُمِرَ به من بيعة هؤلاء النفر، استدعى مروانَ، فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع[(٢)] وترحّم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع. فقال: أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية! فإنهم إن علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب أن يلي على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوًا.

فأرسل الوليدُ عبدَ الله بنَ عمرو بن عثمان، وهو غلامٌ حدثٌ، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال: أجيبا الأمير. فقالا: انصرف، الآن نأتيه. وقال ابن الزبير للحسين: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟! فقال الحسين: أظن أن طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟ قال الحسين: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا ءاتيه إلا وأنا قادر على الامتناع.

فقام فجمع إليه أصحابه وأهل بيته[(٣)] ثم أقبل على باب الوليد وقال لأصحابه:

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مادة ص ر م: «صَرَمَهُ يَصرِمُهُ صَرماً ويُضَمُّ: قَطَعَهُ بائِنًا» اهـ. (١٤٥٧/١).

(٢) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) في فتوح ابن الأعثم (١٦/٥): كان في ثلاثين رجلا.

إني داخلٌ فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليَّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم. ثم دخل فسلم، ومروان عنده، فقال الحسين: الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد ءان لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما، وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة، فاسترجع الحسين وترحّم على معاوية وقال: أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سرًّا ولا يجترأ بها مني سرًّا، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحدًا. فقال له الوليد، وكان يحب العافية: انصرف. فقال له مروان: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدًا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبسه فإن بايع وإلا ضربت عنقه! فوثب عند ذلك الحسين وقال: ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت! ثم خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبدًا. فقال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني[1]، والله ما أحبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينًا، سبحان الله أقتل حسينًا إن قال لا أبايع؟! والله إني لأظن أن امرأً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت. يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه.

وأما ابن الزبير فقال: الآن ءاتيكم. ثم أتى داره فكمن فيها، ثم بعث إليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز، فألح عليه الوليد بكثرة الرسل والرجل في إثر الرجل، فأما الحسين فقال: كفَّ حتى تنظر وننظر وترى ونرى[2]، وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإني ءاتيكم، أمهلوني. فبعث إليه الوليد مواليه، فشتموه وقالوا له: يا ابن الكاهلية، لتأتين الأمير أو ليقتلنك! فلبث بذلك نهاره كله وأول

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٧٠).

(٢) المرجع نفسه، (٣/ ٢٧٠).

ليله، يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال لهم: والله لقد استربت لكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير، فقال: رحمك الله، كُفَّ عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك، وهو ءاتيك غدًا إن شاء الله تعالى، فَمُرْ رسلك فلينصرفوا عنه. فبعث إليهم فانصرفوا.

خروج ابن الزبير ليلًا

وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث، وتجنبا الطريق الأعظم مخافة الطلب، وسارا نحو مكة، فلمّا أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فسرح الرجال في طلبه فبعث راكبًا من بني أمية في ثمانين راكبًا من موالي بني أمية، فطلبوه فلم يدركوه، فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين بطلب عبد الله يومهم حتى أمسوا، ثم أرسل الرجال إلى الحسين عند المساء فقال لهم: أصبحوا ثم ترون ونرى. فكفّوا عنه تلك الليلة، ولم يلحّوا عليه.

لمّا عاد الإمام الحسين إلى بيته أخذ يستعرض الموقف، ويفكّر فيه ويقلّب وجوهه، فهو قد رفض من قبل - في أيام معاوية - أن يبايع يزيد لأنه لم يكن أهلًا للخلافة، بما عُرف عنه من شرب الخمر وممارسة اللهو والمجون، وما زال على حاله لم يتغّير بعد وفاة أبيه، بل إنه أخذ يهدّد معارضيه ويتوعّدهم وينذرهم بضرب الأعناق وسفك الدماء إن لم يخضعوا ويبايعوه، وذلك مما يزيد المخاوف منه ويؤكد خطر مبايعته، كيف يزكّي يزيدَ أمام المسلمين ويشهد بأنه الرجل الذي يصلح للخلافة وصاحب الحق فيها والقدرة عليها؟ كيف يتمّ ذلك وسيدنا الحسين كان راسخ العقيدة قويّ الإيمان؟ وهو الإمام الورع التقيّ الذي يراعي أحكام الدين في كلّ صغيرة وكبيرة؟

هذا فضلًا عن أن ملك يزيد لم يقم على أي شيء يرضاه سيدنا الحسين لدينه أو لشرفه أو للأمة الإسلامية، وفضلًا عن أن يزيد وأعوانه كانوا يسبون الإمام

عليًا على المنابر وينعتونه بالكذب والمروق ويتتبعون أنصاره فينكّلون بهم، فاتجه عزمه إلى الخروج من المدينة المنوّرة بأهله ومَن معه.

خروج الإمام الحسين إلى مكة

خرج رضي الله عنه فسار من ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين للهجرة النبوية الشريفة، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة. وخرج الحسين رضي الله عنه ببنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي، أنت أحبّ الناس إليّ وأعزّهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنحَّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس وادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنّة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأمًا أضيعها دمًا وأذلّها أهلًا. قال الحسين: فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، ويفرق لك الرأي، فإنك أصوب ما يكون رأيًا وأحزمه عملًا حين تستقبل الأمور استقبالًا، ولا تكون الأمور عليك أبدًا أشكل منها حين تستدبرها استدبارًا. قال: يا أخي قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديدًا وموفَّقًا إن شاء الله.

ثم إنّ الوليد أرسل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليبايع فقال: إذا بايع الناس بايعت، فتركوه وكانوا لا يتخوفونه. وقيل: إنّ ابن عمر كان هو وابن عباس رضي الله عنهم بمكة فعادا إلى المدينة، فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما: ما وراءكما؟ فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد. فقال ابن عمر: لا تفرقا

جماعة المسلمين. وقدم هو وابن عباس المدينة. فلما بايع الناس بايعا. قال: ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد، فلما دخلها قال الحسين: أنا عائذ بالبيت، ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بإفاضتهم، وكان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده ويصلي بهم وحده. فلما سار الحسين رضي الله عنه نحو مكة قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، فلمّا دخل الحسين عليه رضوان الله تعالى مكة المكرمة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]. إذن، لم يكن خروجه رضي الله عنه من المدينة إلى مكة، طمعًا في خلافة، ولا التماسًا لجاه، ولا سعيًا لفتنة، فقد كان عليه رضوان الله من أزهد الناس في زمانه، وأبعدهم عن الفتنة، وأخشاهم لله، فليست هجرته للدنيا، ولكنها خالصة لوجه الله الكريم.

ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد

لما خرج الحسين رضي الله عنه من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع فقال له: جعلت فداك! أين تريد؟ قال: أما الآن فمكة، وأما بعد فإني أستخير الله، قال: خار الله لك وجعلنا فداك! فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم فإنك سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحدًا، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم، فداك عمي وخالي! فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك.

فأقبل حتى نزل مكة وأهلها مختلفون إليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه بالرأي.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٢.

وكان جديرًا بيزيد أن يترك سيدنا الحسين وشأنه بعد أن قَدِمَ مكة مسالِمًا زاهدًا، وكان خليقًا به أن يحفظ وصية أبيه معاوية التي نصحه فيها بقوله: انظر الحسين بن عليّ وابن فاطمة، فإنه أحبّ الناس إلى الناس، فَصِلْ رَحِمَه، وارفق به، يصلح لك أمره.

وتتابعت الأحداث بمكّة، والإمام الحسين رضي الله عنه يتابعها باهتمام شديد، ويراقبها نظرًا لصلتها الوثيقة بموقفه ذلك، حيث إنه ما قصد مكّة المكرّمة إلا ظنًّا منه أن يجد فيها الأمن والأمان والاستقرار، إلا أنّه وجد عكس ذلك: فإنّ يزيد بن معاوية عزل الوليد بن عتبة والي المدينة، لتهاونه في شأن الإمام الحسين وابن الزّبير، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق، فقدمها في رمضان، فدخل عليه أهل المدينة، وكان عظيم الكبر، واستعمل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربًا شديدًا لهواهم في أخيه عبد الله، منهم: أخوه المنذر بن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرّحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومحمد بن عمار بن ياسر، وغيرهم، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين.

فاستشار عمرُو بنُ سعيد عمرَو بنَ الزبير فيمن يرسله إلى أخيه، فقال: لا توجه إليه رجلًا أنكأ له مني. فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الأسلميّ في سبعمائة، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال له: لا تَغْزُ مكة واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير، فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوجٌ. فقال عمرو بن الزبير: والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم، فقال مروان: والله إن ذلك ليسوءني[1].

وأتى أبو شريح الخزاعيّ رضي الله عنه إلى عمرو فقال له: لا تَغْزُ مكة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس إن الله عز وجل حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، لا يحلّ لرجل يؤمن**

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٧٣).

واجتمع ناس من أنصار الحسين بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد، وكان منزلها لهم مألفًا يتحدّثون فيه. فعزم يزيد ابن بنيط على الخروج إلى الحسين، وهو من عبد القيس، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فخرج معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فساروا فقدموا عليه بمكة ثم ساروا معه فقتلوا معه.

مسير مسلم بن عقيل إلى الكوفة بإشارة الإمام الحسين

ثم دعا الحسينُ مسلمَ بن عقيل فسيّره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين له عجّل إليه بذلك. فأقبل مسلم إلى المدينة فصلى في مسجد رسول الله، ﷺ، وودّع أهله واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلّا الطريق وعطشوا، فمات الدليلان من العطش وقالا لمسلم: هذا الطريق إلى الماء. فكتب مسلم إلى الحسين: «إني اقبلت إلى المدينة واستأجرت دليلين فضلّا الطريق واشتدّ عليهما العطش فماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننجُ إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيث، وقد تطيّرت، فإن أعفيتني وبعثت غيري!!». فكتب إليه الحسين: «أما بعد، فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ إلا الجبن، فامضِ لوجهك، والسلام».

فسار مسلم حتى أتى الكوفة ونزل في دار المختار، وقيل غيرها، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة، واختلفت إليه الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير، وهو أمير الكوفة، فصعد المنبر فقال: أما بعد فلا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال. وكان حليمًا ناسكًا يحبّ العافية، ثم قال: إني لا أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليَّ، ولا أنبّه نائمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف

ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا معين، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرميّ حليف بني أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين. فقال: أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليَّ من أن أكون من الأعزين في معصية الله! ونزل، فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له، ويقول له: إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلًا قويًا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعّف. وكان هو أول من كتب إليهم، ثم كتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك.

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجونَ مولى معاوية فأقرأه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة، وكان يزيد عاتبًا على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم، قال: فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب، فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب إليه بعهده وسيّره إليه مع مسلم بن عمرو الباهليّ والد قتيبة، فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه. فلما وصل كتابه إلى عبيد الله أمر بالتجهّز ليبرز من الغد.

وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة نسخةً واحدة إلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكريّ، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود ابن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمر بن عبيد الله بن معمر، يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأن السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت، فكلّهم كتموا كتابه إلا المنذر بن الجارود فإنه خاف أن يكون دسيسًا من ابن زياد، فأتاه بالرسول

والكتاب فضرب عنق الرسول، وخطب الناس وقال: أما بعد، فوالله ما بي تقرن الصعبة، وما يقعقع لي بالشنان، وإني لنكلٌ لمن عاداني وسلمٌ لمن حاربني، وأنصف القارة من راماها، يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها بالغداة وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف، فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه وعريفه ووليه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى، حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، وإني أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.

مسير عبيد الله بن زياد ووصوله إلى الكوفة

ثم خرج عبيد الله بن زياد من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ وشريك ابن الأعور الحارثيّ وحشمه وأهل بيته، وكان شريك شيعيًّا، وقيل: كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه، فكان أول من سقط شريك، ورجوا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده، فجعل يمرّ بالمجالس فلا يشكون أنه الحسين فيقولون: مرحبًا بك يا ابن رسول الله! وهو لا يكلّمهم، وخرج إليه الناس من دورهم، فساءه ما رأى منهم، وسمع النعمانُ فأغلق عليه الباب وهو لا يشكّ أنه الحسين، وانتهى إليه عبيدُ الله ومعه الخلق يصيحون، فقال له النعمان: أنشدك الله ألا تنحّيت عني! فوالله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي وما لي في قتالك من حاجة! فدنا منه عبيد الله وقال له: افتح لا فتحت - فسمعها إنسان خلفه فرجع إلى الناس وقال لهم: إنه ابن مرجانة. ففتح له النعمان فدخل، وأغلقوا الباب وتفرّق الناس، وأصبح فجلس على المنبر، وقيل: بل خطبهم من يومه فقال: أما بعد فإن أمير المؤمنين ولّاني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مُريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذٌ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البرّ، ولمطيعكم كالأخ الشقيق، وسيفي وسوطي

على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبكِ امرؤ على نفسه.

ثم نزل فأخذ العرفاءَ والناسَ أخذًا شديدًا وقال: اكتبوا إليَّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم إليّ فبريء، ومن لم يكتب لنا أحدًا فليضمن لنا ما في عرافته أن لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغٍ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله، وأيما عريف وُجِدَ في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا صلب على باب داره وألقيت تلك العرافة من العطاء وسيّر إلى موضع بعمان الزارة، ثم نزل.

وسمع مسلم بمقالة عبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة المراديّ فدخل بابه واستدعى هانئًا، فخرج إليه، فلما رءاه كره مكانه فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال له هانئ: لقد كلفتني شططًا، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، ادخل. فآواه، فاختلفت الشيعة إليه في دار هانئ.

بداية المؤامرة على مسلم بن عقيل

ودعا ابنُ زياد مولًى له وأعطاه ثلاثة ءالاف درهم وقال له: اطلب مسلم بن عقيل وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم أخبارهم. ففعل ذلك وأتى مسلمَ ابنَ عوسجة الأسديّ بالمسجد فسمع الناس يقولون: هذا يبايع للحسين، وهو يصلي، فلما فرغ من صلاته قال له: يا عبد الله، إني امرؤ من أهل الشام أنعم الله عليَّ بحب أهل هذا البيت، وهذه ثلاثة ءالاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ، وقد سمعت نفرًا يقولون إنك تعلم أمر هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض المال وتُدْخِلَني على صاحبك أبايعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائي إياه.

فقال: لقد سرّني لقاؤك إياي لتنال الذي تحبّ وينصر الله بك أهل بيت نبيه،

وقد ساءني معرفة الناس هذا الأمر مني قبل أن يتمَّ مخافة هذا الطاغية وسطوته. فأخذ بيعته والمواثيق المعظمة ليناصحن وليكتمن، واختلف إليه أيامًا ليدخله على مسلم بن عقيل.

ومرض هانئ بن عروة، فأتاه عبيد الله بن زياد يعوده، فقال له عمارة بن عبد السلوليّ: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد أمكنك الله فاقتله. فقال هانئ: ما أحب أن يقتل في داري. وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان قد نزل على هانئ وكان كريمًا على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، فأرسل إليه عبيد الله: إني رائحٌ إليك العشية. فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس اخرج إليه فاقتله، ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برأت من وجعي سرت إلى البصرة حتى أكفيك أمرها. فلما كان من العشي أتاه عبيد الله، فقام مسلم بن عقيل ليدخل، فقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس. فقال هانئ بن عروة: لا أحب أن يقتل في داري. فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكًا عن مرضه، فأطال، فلما رأى شريك أن مسلمًا لا يخرج خشي أن يفوته فأخذ يقول: [السريع]

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها   اسقونيها وإن كانت بها نفسي

فقال ذلك مرتين أو ثلاثًـا، فقال عبيد الله: ما شأنه؟ أترونه يخلط؟ فقال له هانئ: نعم، ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه، فانصرف.

فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان، أما إحداهما فكراهية هانئ أن يقتل في منزله، وأما الأخرى فحديث حدثه عليّ عن النبيّ ﷺ: «**إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن**». فقال له هانئ: لو قتلته لقتلت فاسقًا فاجرًا كافرًا غادرًا!

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثًـا ثم مات، فصلى عليه عبيد الله، فلما علم عبيد الله أن شريكًا كان حرّض مسلمًا على قتله قال: والله لا أصلي على جنازة عراقيّ أبدًا، ولولا أنَّ قبر زياد فيهم لنبشت شريكًا.

ثم إن مولى ابن زياد الذي دسَّه بالمال اختلف إلى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك، فأدخله على مسلم بن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله، وجعل يختلف إليهم ويعلم أسرارهم وينقلها إلى ابن زياد. وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض، فدعا عبيدُ الله محمدَ بن الأشعث وأسماء بن خارجة، وقيل: دعا معهما عمرو بن الحجاج الزبيديّ فسألهم عن هانئ وانقطاعه، فقالوا: إنه مريض. فقال: بلغني أنه يجلس على باب داره وقد برأ، فالقوه فمروه أن لا يدع ما عليه في ذلك. فأتوه فقالوا له: إن الأمير قد سأل عنك وقال: لو أعلم أنه شاكٍ لعدته، وقد بلغه أنك تجلس على باب دارك، وقد استبطأك، والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لو ركبت معنا. فلبس ثيابه وركب معهم. فلما دنا من القصر أحسّت نفسه بالشر فقال لحسان ابن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي إني لهذا الرجل لخائفٌ، فما ترى؟ فقال: ما أتخوف عليك شيئًا فلا تجعل على نفسك سبيلًا، ولم يعلم أسماء مما كان شيئًا. وأما محمد بن الأشعث فإنه علم به، قال: فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم، فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضي: أتتك بحائن رجلاه، فلما دنا منه قال عبيد الله: [الوافر]

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرمًا له، فقال هانئ: وما ذاك؟ فقال: يا هانئ، ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟! جئت بمسلم فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفى عليّ! قال: ما فعلت! قال: بلى. وطال بينهما النزاع، فدعا ابن زياد مولاه ذاك العين - أي الجاسوس الذي بعثه -، فجاء حتى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هانئ أنه كان عينًا عليهم، فسقط في يده ساعة ثم راجعته نفسه، قال: اسمع مني وصدّقني، فوالله لا أكذبك، والله ما دعوته ولا علمت بشيء من أمره، حتى رأيته جالسًا على بابي يسألني النزول عليَّ، فاستحييت مِن ردّه ولزمني من ذلك ذمام، فأدخلته داري وضفته، وقد كان من أمره الذي بلغك، فإن شئت أعطيتك الآن موثقًا تطمئن به

ورهينةً تكون في يدك حتى أنطلق وأخرجه من داري وأعود إليك. فقال: لا والله لا تفارقني أبدًا حتى تأتيني به. قال: لا ءاتيك بضيفي تقتله أبدًا!!

فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهليّ، وليس بالكوفة شاميّ ولا بصريّ غيره، فقال: خلني وإياه حتى أكلّمه، لِمَا رأى من لجاجه، وأخذ هانئًا وخلا به ناحية من ابن زياد بحيث يراهما، فقال له: يا هانئ، أنشدك الله أن لا تقتل نفسك ولا تدخل البلاء على قومك! إن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان! قال: بلى والله إن عليَّ في ذلك خزيًا وعارًا، لا أدفع ضيفي وأنا صحيح، شديد الساعد، كثير الأعوان، والله لو كنت واحدًا ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه!

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه مني. فأدنوه منه. فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك! قال: إذن والله تكثر البارقة حول دارك! وهو يرى أن عشيرته ستمنعه. فقال: أبالبارقة تخوّفني؟ وقيل إن هانئًا لما رأى ذلك الرجل الذي كان عينًا لعبيد الله علم أنه قد أخبره الخبر فقال: أيها الأمير قد كان الذي بلغك ولن أضيع يدك عندي وأنت آمن وأهلك، فسر حيث شئت. فأطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم على رأسه وفي يده قضيب خشبيّ، فقال: واذلاه! هذا الحائك يؤمّنك في سلطانك! فقال: خذه، فأخذ مهران ضفيرتي هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه، وسيّل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هانئ يده إلى قائم سيف شرطيّ وجبذه فمنع منه، فقال له عبيد الله: أحروريّ أحللت بنفسك وحلّ لنا قتلك! ثم أمر به فألقي في بيت وأغلق عليه، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرسله يا غادر! أمرتنا أن نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت أنك تقتله! فأمر به عبيد الله فلهز وتعتع ثم تُرِكَ فجلس. فأما ابن الأشعث فقال: رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أو علينا، إنما الأمير مؤدّب[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٨٦).

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئًا قد قُتِل فأقبل في بني مذحج حتى أحاطوا بالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعةً. فقال عبيد الله لشريح القاضي، وكان حاضرًا: ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثم اخرج إليهم فأعلمهم أنه حيّ. ففعل شريح، فلما دخل عليه قال له هانئ: يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ أين أهل الدين؟ أين أهل النصر؟ أيخلونني وعدوهم وابن عدوهم! وسمع الضجة فقال: يا شريح، إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنه إن دخل عليَّ عشرة نفر أنقذوني، فخرج شريح ومعه عين أرسله ابن زياد، قال شريح: لولا مكان العين لأبلغتهم قول هانئ، فلما خرج شريح إليهم قال: قد نظرت إلى صاحبكم وإنه حيّ لم يقتل، فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا.

تحرك ابن عقيل وتخاذل أهل الكوفة

وأتى الخبر مسلمَ بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفًا وحوله في الدور أربعة ءالاف، فاجتمع إليه ناس كثير، فعقد مسلم لعبد الله بن عزير الكِنديّ على ربع كِندة وقال: سر أمامي، وعقد لمسلم بن عوسجة الأسديّ على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائديّ على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدليّ على ربع المدينة، وأقبل نحو القصر، فلما بلغ ابنَ زياد إقباله تحرّز في القصر وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس وما زالوا يجتمعون حتى المساء، وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلًا من الشرط وعشرون رجلًا من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قِبَلِ الباب الذي يلي دار الروميين والناس يسبّون ابن زياد وأباه. فدعا ابنُ زياد كثيرَ بن شهاب الحارثيَّ وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من

كِندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع ابن شور الذهليّ وشَبَث بن ربعي التميميّ وحجار بن أبجر العجليّ وشمر بن ذي الجوشن الضبابيّ، وترك وجوه الناس عنده استئناسًا بهم لقلة من معه.

مسلم بن عقيل في الساحة وحده

وخرج أولئك النفر يخذلون الناس، وأمر عبيدُ الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنّوا أهل الطاعة ويخوّفوا أهل المعصية، ففعلوا، فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون حتى إن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلًا!! فلما رأى ذلك خرج متوجّهًا نحو أبواب كِندة، فلما خرج إلى الباب لم يبقَ معه أحد[1]، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كِندة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث وأعتقها فتزوجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالًا، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس، فقالت له: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، فقالت له ثلاثًا فلم يبرح، فقالت: سبحان الله! إني لا أحلّ لك الجلوس على بابي. فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٨٨): «قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك. ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غدًا يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر، انصرف فيذهب به. فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفسًا في المسجد، حتى صليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفسًا، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجّهًا نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان! والتفت فإذا هو لا يحس أحدًا يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل، ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلدّد - أي يتلفت يمينًا وشمالًا ويتحيّر - في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب» اهـ.

أكافئك به بعد اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني. قالت: ادخل. فأدخلته بيتًا - أي غرفة - في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش. وجاء ابنها فرءاها تكثر الدخول في ذلك البيت، فقال لها: إن لك لشأنًا في ذلك البيت! وسألها فلم تخبره، فألحّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك، فسكت.

وأما ابن زياد فلما لم يسمع الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل ترون منهم أحدًا؟ فنظروا فلم يروا أحدًا، فنزل إلى المسجد قبيل العتمة وأجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي: ألا برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد. فامتلأ المسجد، فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديته. وأمرهم بالطاعة ولزومها، وأمر الحصين بن تميم أن يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور، وكان على الشرط، وهو من بني تميم.

ودخل ابنُ زياد وعقد لعمرو بن حريث وجعله على الناس، فلما أصبح جلس للناس. ولما أصبح بلال ابن تلك العجوز التي ءاوت مسلم بن عقيل أتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل، فأتى عبدُ الرحمن أباه، وهو عند ابن زياد، فأسرّ إليه بذلك، فأخبر به محمدٌ بنَ زياد، فقال له ابن زياد: قم فأتني به الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلميّ في سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل. فلما سمع الأصوات عرف أنه قد أُتِيَ، فخرج إليهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مرارًا، وضرب بكيرُ بنُ حمران الأحمريّ فمَ مسلمٍ فقطع شفته العليا وسقطت ثنيتاه، وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه، فلما رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه. فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة، فقال له محمد بن الأشعث: لك الأمان فلا تقتل نفسك!

فأقبل يقاتلهم وهو يقول: [الرجز]

أقسمت لا أقتل إلا حُرّا ... وإن رأيت الموت شيئًا نكرا
أو يخلط البارد سخنًا مرّا ... ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
كل امرئ يومًا يلاقي شرّا ... أخاف أن أُكْذَب أو أُغَرّا

فقال له محمد: إنك لا تُكَذّب ولا تُخدع، القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك. وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى حائط تلك الدار، فآمنه ابنُ الأشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلميّ، فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وأتي ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه، فكأنه أيس من نفسه، فدمعت عيناه ثم قال: هذا أول الغدر. قال محمد: أرجو أن لا يكون عليك بأس، قال: وما هو إلا الرجاء، أين أمانكم؟ ثم بكى. فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلميّ: من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك! فقال: ما أبكي لنفسي ولكني أبكي لأهلي المنقلبين إليكم، أبكي للحسين وءال الحسين! ثم قال لمحمد بن الأشعث: إني أراك ستعجز عن أماني فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلًا يخبر الحسين بحالي، ويقول له عني ليرجع بأهل بيته، ولا يغرّه أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟ إن أهل الكوفة قد كذّبوك وكذّبوني وليس لمكذَّب رأي، فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلن! ولأعلمن ابنَ زياد أني قد أمنتك، ثم كتب بها قال مسلم إلى الحسين، فلقي الحسينُ الرسولَ بزُبالة[1] فأخبره، فقال: كلما قدر نازلٌ عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا. وكان سبب مسيره - أي الحسين - من مكة كتاب مسلم إليه يخبره أنه بايعه ثمانية عشر ألفًا ويستحثه للقدوم.

إذ قد كان مسلم بن عقيل حيث تحول إلى دار هانئ بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفًا قدَّم كتابًا إلى الحسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكريّ: «أما بعد، فإن

---

(١) معجم البلدان، الحمويّ، (٣/ ١٢٩): «زبالة بضم أوله منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية» اهـ.

الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفًا، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»[1] اهـ.

استشهاد مسلم بن عقيل رحمه الله

وأما مسلم فإن محمد بن الأشعث قدم به القصر، ودخل محمد على عبيد الله فأخبره الخبر وأمانه له، فقال له عبيد الله: ما أنت والأمان! ما أرسلناك لتؤمّنه إنما أرسلناك لتأتينا به! فسكت محمد، ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرةً فيها ماء بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهليّ: أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم! فقال لهم ابن عقيل: ويحك من أنت؟ قال: أنا ابن مَن عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الأمة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ! فقال له ابن عقيل: لأمك الثكل، ما أجفاك وأفظك، وأقسى قلبك وأغلظك! قال: فدعا عمارةُ بنُ عقبة بماء بارد فصبّ له في قدح فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دمًا، ففعل ذلك ثلاثًا، فقال: لو كان من الرزق المقسوم شربته.

وأُدْخِلَ على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالإمارة، فقال له الحرسيّ: ألا تسلّم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فليكثرنّ تسليمي عليه. فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلنّ! فقال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصِ إلى بعض قومي، قال: افعل. فقال لعمر بن سعد: إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وهي سرّ، فلم يمكّنه عمر من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمك، فقام معه فقال: إن عليَّ بالكوفة دينًا استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها فوارِها وابعث إلى الحسين من يردّه، فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلا.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٩٠).

فقال عمر لابن زياد: إنه قال كذا وكذا. فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت، وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأما جثته فإنّا لن نشفعك فيها، وقيل إنه قال: أما جثته فإنا إذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها.

ثم قال لمسلم: يا ابن عقيل، أتيتَ الناسَ وأمرُهُم جميعٌ وكلمتهم واحدة لتشتّت بينهم وتفرّق كلمتهم! فقال: كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب والسنة. فقال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق وأني لست كما ذكرت، وإن أحق الناس بشرب الخمر مني من بلغ في دماء المسلمين فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئًا، فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك. فشتمه ابنُ زياد وشتم الحسين وعليًّا وعقيلًا، فلم يكلّمه مسلم، ثم أمر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته ويتبعوا رأسه جسده، فقال مسلم لابن الأشعث: والله لولا أمانك ما استسلمت، قم بسيفك دوني، قد أخفرت ذمتك. فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبّح، وأشرف به على موضع الجزارين فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكيرُ بنُ حمران الذي ضربه مسلم، ثم أتبع رأسه جسده رحمه الله تعالى. فلما نزل بكير قال له ابن زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يسبّح ويستغفر، فلما أدنيته لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا! قلت له: ادن مني، الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك! فضربته ضربة لم تغن شيئًا، فقال: أما ترى في خدش تخدشينه وفاء من دمك أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخرًا عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.

وقام محمد بن الأشعث فكلم ابن زياد في هانئ وقال له: قد عرفت منزلته في المصر وبيته، وقد علم قومه أني أنا وصاحبي سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه. فوعده أن يفعل. فلما كان من مسلم ما كان بدا له فيه وأبى أن يفي له بما قال، أمر بهانئ حين قُتِلَ مسلم، فأُخْرِجَ إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يقول: وامذحجاه، ولا مذحج لي اليوم! فلمّا رأى أن أحدًا لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه؟! فوثبوا إليه وشدّوه وثاقًا، ثم قيل له: امدد عنقك! فقال: ما أنا بها مجدٍ سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي! فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركيّ يقال له: رشيد بالسيف فلم يصنع سيفه شيئًا، فقال هانئ: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك. ثم ضربه أخرى فقتله فضربت عنقه.

فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بعد ذلك بخازر مع ابن زياد فقتله. فقال عبد الله بن الزبير الأسديّ في قتل هانئ ومسلم، وقيل: قاله الفرزدق: [الطويل]

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهَهُ ... وآخـرَ يهـوي مـن طـمار قتيلِ

ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلمًا وهانئًا بعث برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعيّ والزبير بن الأروح التميميّ إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتابًا أطال فيه، وكان أول من أطال في الكتب، فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه، وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟! اكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المراديّ، وأني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما فقدّمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمدانيّ والزبير بن الأروح

التميميّ، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبَّ من أمرٍ، فإن عندهما علمًا وصدقًا وفهمًا وورعًا والسلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيتَ وكفيتَ وصدقتَ ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك، فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوصِ بهما خيرًا، وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليّ قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر[1] والمسالح[2] واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إليَّ في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله»[3].

وكان مَخْرَجُ مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ مضين من ذي الحجة سنة ستين، ويقال: يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلًا إلى الكوفة بيوم، قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالًا وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

«وذُكِرَ أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، فخرج المختار براية خضراء وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب حمر، وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث وقال: إنما خرجت لأمنع عمرًا، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشَبَث بن ربعيّ قاتلوا مسلمًا وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالًا شديدًا، وأن شَبَثًا جعل يقول:

---

(١) القاموس المحيط، مادة ن ظ ر: «النظارة: القوم ينظرون إلى الشيء، والمناظر: أشراف الأرض» اهـ. (١/ ٦٢٣).

(٢) المرجع نفسه، مادة س ل ح: «والمسلحة: الثغر، القوم ذوو سلاح» اهـ. (١/ ٢٧١).

(٣) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٩٣).

انتظروا بهم الليل يتفرقوا. فقال له القعقاع: إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فافرج لهم ينسربوا. وإن عبيد الله أمر أن يُطْلَبَ المختار وعبد الله بن الحارث - أي أن يُقْبَضَ عليهما - وجعل فيهما جعلًا، فأُتِيَ بهما فحُبِسَا»[1].

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة ومحاولات ثنيه عن الخروج

كان لهذه الأحداث أثر عميق في نفس الإمام الحسين، ومن أهمّ البواعث التي جعلته يفكّر في الخروج من مكة، فقد أحسّ منذ فكّر خصومه في غزو البيت الحرام، وتعقبهم لعبد الله بن الزبير، أنه اصبح غير آمنٍ على نفسه من أن يناله ما نال عبد الله بن الزبير من التعقب (ليس من القتل لأن قتله كان بعد ذلك عبرة)، كما أنه خشي على أهل مكة من أن يكون بقاؤه فيها سببًا في هتك حرمتها، فأشفق على أهلها الآمنين المسالمين من أن تهدر دماؤهم وتستباح أموالهم. فهؤلاء الخصوم - بعد أن حدث ما حدث - لا ينتظر منهم أن يحترموا قدسية البيت الحرام، أو أن يخافوا من استباحة الدماء فيه والاعتداء على الآمنين.

وهكذا فكّر الإمام في الخروج من مكة، ولكنه رأى أن يتريّث قليلًا ريثما تنجلي الأمور، فقد كانت تصل إليه بين آونة وأخرى رسائل المسلمين من شتى بقاع الأرض - لا سيما أهل الكوفة وغيرها من بلاد العراق - يلحّون عليه ويرجونه في القدوم إليهم.

وأخيرًا، ردّ الإمام الحسين على هذه الصرخات المستنجدة التي تستحثه على الخروج إليهم، وبدأ بالإعداد للخروج، فأتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له: إني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحةً لك، فإن كنتَ ترى أنك مستنصحي قلتُها وأدَّيتُ ما عليَّ من الحق فيها، وإن ظننت أنك لا مستنصحي كففت عما أريد! فقال له: قل، فوالله ما أستغشّك وما أظنّك بشيء من الهوى. قال

(1) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٩٤).

له: قد بلغني أنك تريد العراق، وإني مشفقٌ عليك، إنك تأتي بلدًا فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا ءامنُ عليك أن يقاتلك مَنْ وعدك نصرَهُ، ومَنْ أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه. فقال له الحسين: جزاك الله خيرًا يا ابن عم، فقد علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقضِ من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح.

وأتاه عبد الله بن عباس فقال له: قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟ فقال له: قد أجمعتُ السيرَ في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى. فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فَسِرْ إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمّاله تجبي بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدَّ الناس عليك. فقال الحسين: فإني أستخير الله وأنظر ما يكون.

فخرج ابن عباس من عنده، ثم أتاه ابن الزبير فحدّثه ساعةً ثم قال للحسين عليه السلام: ما أدري ما تَرْكُنَا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، خبّرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إليَّ شيعتي بها وأشراف الناس وأستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها. ثم خشي أن يتهمه فقال له: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك، فقال له الحسين: إن أبي حدّثني أن لها كبشًا به تستحلّ حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش. قال: فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى. قال: ولا أريد هذا أيضًا. ثم إنهما أخفيا كلامهما دون الحاضرين، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا ندري، جعلنا الله فداك قال: إنه يقول: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال له الحسين: والله لئن أُقْتل خارجًا منها بشبر أحبّ إليَّ من أن أُقتل فيها، ولأن أُقتل

خارجًا منها بشبرين أحبّ إليّ من أن أقتل خارجًا منها بشبر، وايم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم! والله ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت، فقام ابن الزبير فخرج من عنده، ويزعمون أن الحسين قال: إن هذا ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أن أُخْرَجَ من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي، فودَّ أني خرجتُ حتى يخلو له!

فلما كان من العشيّ أو من الغد أتاه ابنُ عباس فقال: يا ابن عم، إني أتصبّر ولا أصبر، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوّهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيتَ إلا أن تخرجَ فَسِرْ إلى اليمن، فإن بها حصونًا وشعابًا، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبثّ دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال له الحسين: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، وقد أزمعتُ وأجمعتُ المسير. فقال له ابن عباس: فإن كنت سائرًا فلا تسِرْ بنسائك وصبيتك، فإني لخائف أن تقتل كما قُتِلَ عثمانُ ونساؤه وولده ينظرون إليه.

ثم زُعِمَ أن ابن عباس قال له: لقد أقررتَ عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمعَ عليَّ وعليك الناس أطعتني فأقمت لفعلت ذلك.

ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال: قرت عينك يا ابن الزبير! ثم أنشد قائلًا: [الرجز]

يا لك من قبرةٍ بمعمرِ   خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.

قيل: وكان الحسين يقول: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فرم المرأة. قال: والفرم خرقة تجعلها المرأة في قبلها إذا حاضت.

انعقاد النية عند الإمام الحسين للخروج إلى الكوفة

وهكذا انعقدت نية الإمام الحسين على الخروج من مكة إلى الكوفة، ولم يكن خروجه كما أسلفنا طمعًا في جاه، أو طلبًا لسلطان، أو رغبة في دنيا، وإنما كان لوجه الله وطاعة لرسوله.

فقد ءاثر أولًا: أن لا تستباح مكة بسببه كما استبيحت بسبب عبد الله بن الزبير.

وءاثر ثانيًا: أن ينجو بدينه وكرامته.

وثالثًا: أراد أن يستجيب لهؤلاء المسلمين بالعراق الذين استنجدوا به وأجمعوا عليه وألحّوا في طلبه ومبايعته، فلم يشأ أن يخيّب ءامالهم ويضيّعهم ويسلّمهم لهؤلاء الذين حوّلوا الخلافة إلى ملك عضود يتوارثه من لا يستحقونه، ومن ليسوا أهلًا له.

وهكذا لم يكن بدّ من أن يسارع إلى الخروج من مكة قبل أن يحال بينه وبين ذلك، ولم يكن قد بقي على الحج سوى يومين، فأحرم بالعمرة، ثم تحلّل منها، ولم يجد فرصة للبقاء بمكة حتى يؤدّي شعائر الحج.

ثم خرج رضي الله عنه يوم التروية، فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى، يمنعونه، فأبى عليهم ومضى، وتضاربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه وساروا فمروا بالتنعيم، فرأى بها عيرًا قد أقبلت من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان من اليمن

إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس[1] والحلل، فأخذها الحسين وقال لأصحاب الإبل: من أحبّ منكم أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته، ومن أحبّ أن يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكراء؟ فمن فارق منهم أعطاه حقه، ومن سار معه أعطاه كراءه وكساه.

ثم سار، فلما انتهى إلى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ. فقال له الحسين: بيّن لي خبر الناس خلفك. قال: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال الحسين: صدقت، لله الأمر يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن أي يغير في خلقه كما يشاء، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدِ مَنْ كان الحق نيته، والتقوى سريرته.

وأدرك الحسينَ كتابُ عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد، وفيه: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في إثر كتابي، والسلام. وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد فقال له: اكتب للحسين كتابًا تجعل له الأمان فيه وتمنّيه في البِرّ والصّلة واسأله الرجوع. وكان عمرو عامل يزيد على مكة، ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر، فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا أن يرجع، فلم يفعل، وكان مما اعتذر به إليهما أن قال: إني رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله ﷺ، وأُمِرْتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، عليَّ كان أو لي. فقالا: ما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثتُ بها أحدًا وما أنا محدّث بها أحدًا حتى ألقى ربي.

«وكان في كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم،

---

(١) الورس: نبات كالسمسم.

من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك. بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثتُ إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إليَّ معهما، فإنَّ لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك، الله عليَّ بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل، والسلام عليك.

وكتب إليه الحسين: أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقد دعوتَ إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن اللهُ يومَ القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويتَ بالكتاب صِلتي وبِرّي فَجُزِيتَ خيرًا في الدنيا والآخرة، والسلام»[2].

واصل الإمام رضي الله عنه سيره متجهًا إلى الكوفة، وهو لا يدري ما وقع بها ولا تطوُّر الأحداث فيها، فلمّا بلغ ابنَ زياد مسيرُ الحسين من مكة بعثَ الحصين ابن نمير التميميّ صاحب شرطته فنزل القادسية، ونظّم الخيل ما بين القادسية إلى خَفَّان، وما بين القادسية إلى القطقطانة وإلى جبل لعلع. فلما بلغ الحسين الحاجر كتب إلى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداويّ يعرّفهم قدومه ويأمرهم بالجِدّ في أمرهم، وفي الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجِدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[3] اهـ.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٢٩٧).

(٣) المرجع نفسه، (٣/ ٣٠١).

فلما انتهى قيسٌ إلى القادسية أخذه الحصينُ فبعث به إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: اصعد القصر فسُبَّ الكذّاب ابن الكذّاب الحسينَ بن عليّ. فصعِدَ قيسٌ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله - أي في زمانه -، ابن فاطمة بنت رسول الله، ﷺ، أنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه، ثم لعنَ ابنَ زياد وأباه واستغفر لعليّ. فأمر به ابن زياد فَرُمِيَ من أعلى القصر فتقطع فمات رحمه الله.

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع، فلما رءاه قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! ما أقدمك؟ فاحتمله فأنزله، فأخبره الحسين، فقال له عبد الله: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدًا أبدًا، والله إنها لحرمة الإسلام تُنْتَهَك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأتِ الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أمية! فأبى إلا أن يمضي.

وكان زهير بن القين البجليّ قد حجّ، وكان عثمانيًّا، فلما عاد جمعهما الطريق، وكان يساير الحسين من مكة إلا أنه لا ينزل معه، فاستدعاه يومًا الحسينُ فشقَّ عليه ذلك ثم أجابه على كُرْهٍ، فلما عاد من عنده نقل ثقله إلى ثقل الحسين ثم قال لأصحابه: من أحبَّ منكم أن يتبعني وإلا فإنه ءاخر العهد، وسأحدّثكم حديثًا، غزونا بلنجر ففُتِحَ علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسيّ فقال لنا: «إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحًا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم»، قال زهير: فأما أنا فأستودعكم الله! ثم طلّق زوجته وقال لها: الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك في سببي إلا خير. ولزم الحسين حتى قُتِلَ معه.

محاولات ثني الحسين عن التقدم

اقترب الإمام الحسين رضي الله عنه بموكبه من الكوفة، فقابل أناسًا من القادمين منها، وقصّوا عليه ما حدث، وبدأت تطورات الأحداث تظهر أمامه، فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية، وكانوا قد انتهوا إلى زُبالة، وكان لا يمرّ بماء إلا اتبعه من عليه حتى انتهى إلى زُبالة، فأتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بُقْطُر، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله، فأخذته خيل الحصين، فسيّره من القادسية إلى ابن زياد، فقال له: اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي. فصعِدَ فأعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد وأباه، فألقاه من القصر فتكسّرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخميّ فذبحه، فلما عِيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه! وقال بعضهم: لم يكن الذي ذبحه عبد الملك ابن عمير ولكنه رجل يشبه عبد الملك.

ثم التفت الإمام الحسين إلى مَن حوله وصارحهم بالحقيقة المرّة المؤلمة، وقال لهم: قد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبَّ أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام. فتفرّقوا يمينًا وشمالًا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة أي زهاء مائة نفس أو يزيدون قليلًا، وإنما فعل ذلك لأنه علم أن الأعراب ظنوا أنه يأتي بلدًا قد استقامت له طاعة أهله فأراد أن يعلموا علامَ يقدمون.

فقال له بعض أصحابه: ننشدك إلا رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف عليك أن يكونوا عليك! فوثب بنو عقيل وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم! فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم ابن عقيلٍ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

ثم سار حتى نزل بطن العقبة، فلقيه رجلٌ من العرب فقال له: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف، إن هؤلاء الذين بعثوا

إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال، ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم، لكان ذلك رأيًا، فأما على هذه الحال التي تذكر فلا أرى أن تفعل، فقال: إنه لا يخفى عليّ ما ذكرت ولكن الله عزَّ وجلَّ لا يُغْلب على أمره. ثم ارتحل منها.

الوصول إلى كربلاء

سار الإمام الحسين رضوان الله عليه من شَرافَ، فلما انتصف النهار كبَّرَ رجلٌ من أصحابه، فقال له: ممّ كبرت؟ قال: رأيت النخل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرض نخلة قط! فقال الحسين: فما هو؟ فقالا: لا نراه إلا هوادي الخيل. فقال: وأنا أيضًا أراه ذلك. وقال لهما: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقالا: بلى، هذا ذو حُسُم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد. فمال إليه، فما كان بأسرع من أن طلعت الخيل وعدلوا إليهم، فسبقهم الحسين إلى الجبل فنزل، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميميّ ثم اليربوعيّ، فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه الذين كانوا معتمّين متقلدي أسيافهم في حرّ الظهيرة، فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفًا. ففعلوا، وكان مجيء القوم من القادسية، أرسلهم الحصين بن نمير التميميّ في هذه الألف يستقبل الحسين، فلم يزل مواقفًا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين مؤذنه بالأذان، فأذن، وخرج الحسين إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم ءاتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن اقدم إلينا، فليس لنا إمام لعل الله أن يجعلنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم بمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه.

فسكتوا وقالوا للمؤذن: أقم، فأقام، وقال الحسين للحرّ: أتريد أن تصلي أنت بأصحابك؟ فقال: بل صلّ أنت ونصلّي بصلاتك. فصلى بهم الحسين، ثم دخل

واجتمع إليه أصحابه وانصرف الحرّ إلى مكانه، ثم صلى بهم الحسين العصر، ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم.

فقال الحرّ: إنّا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر. فأخرج خرجين مملوءين صحفًا فنثرها بين أيديهم. فقال الحرّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمِرْنا أنّا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد. فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك! ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحرّ من ذلك. فقال له الحسين: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قال له: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنًا من كان، ولكني والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه. فقال له الحسين: ما تريد؟ قال الحر: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد. قال الحسين: إذن والله لا أتبعك. قال الحر: إذن والله لا أدعك. فترادّا الكلام، فقال له الحرّ: إني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقًا لا تدخلك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك. فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحرّ يسايره.

ثم إن الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعلٍ ولا قول كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله**». ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غَيْري، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا

رشدكم، وأنا الحسين بن عليّ ابنُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[1] والسلام.

فقال له الحرّ: إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلتَ لتقتلن. فقال له الحسين: أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولكني أقول كما قال أخو الأوسيّ لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله، ﷺ، فقال له: «أين تذهب؟ فإنك مقتول!» فقال: [الطويل]

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى خيرًا وجاهد مسلما

وواسى رجالًا صالحين بنفسه ... وخالف مثبورًا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلًّا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحرّ تنحى عنه، فكان يسير ناحيةً عنه حتى انتهى إلى عذيب الهجانات، كان به هجائن النعمان ترعى هناك فنسب إليها، فإذا هو بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسًا لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرماح بن عديّ وانتهوا إلى الحسين، فأقبل إليهم الحرّ وقال: إن هؤلاء النفر من أهل الكوفة وأنا حابسهم أو رادّهم. فقال الحسين: لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تممت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك. فكفَّ الحرّ عنهم، فقال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس خلفكم. فقال له مجمع بن عبيد الله العائذيّ، وهو أحدهم: أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، فهم ألبٌ واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوي إليك وسيوفهم غدًا مشهورة إليك.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر، فأخبروه بقتله وما كان منه، فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته، ثم قرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1]، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك.

وقال له الطرماح بن عديّ: والله ما أرى معك كثير أحدٍ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، ولقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيومٍ ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي جمعًا في صعيد واحد أكثر منه قطّ ليسيّروا إليك، فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم إليهم شبرًا فافعل، فإن أردت أن تنزل بلدًا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسِرْ حتى أنزلك جبلنا «أجأ»، فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحِمْيَر والنعمان بن المنذر ومن الأحمر والأبيض، والله ما إن دخل علينا ذلّ قطّ، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم تبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسُلَيْم من طيّء، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيّئ رجالًا وركبانًا، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيجٌ فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين يديك بأسيافهم، فوالله لا يوصل إليك أبدًا وفيهم عين تطرف. فقال له: جزاك الله وقومك خيرًا! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر جمعه على الانصراف، ولا ندري علام تتصرف بنا وبهم الأمور. فودّعه وسار إلى أهله ووعده أن يوصل الميرة إلى أهله ويعود إلى نصره، ففعل، ثم عاد إلى الحسين، فلما بلغ عذيب الهجانات لقيه خبر قتله فرجع إلى أهله.

ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بني مقاتل فرأى فسطاطًا مضروبًا فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفيّ. فقال: ادعوه لي. فلما أتاه الرسول يدعوه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهيةَ أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فعاد الرسول إلى الحسين فأخبره،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

فلبس الحسين نعليه ثم جاء فسلم عليه ودعاه إلى نصره، فأعاد عليه ابن الحرّ تلك المقالة، قال: فإن لا تنصرني فاتقِ الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك. فقال له: أما هذا فلا يكون أبدًا إن شاء الله تعالى.

ثم قام الحسين فخرج إلى رحله ثم سار ليلًا ساعةً فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. فأقبل إليه ابنه عليّ ابن الحسين فقال: يا أبت جعلت فداك! ممَّ حمدتَ واسترجعتَ؟ قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقةً فعنّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أن أنفسنا نُعِيَت إلينا. فقال: يا أبت لا أراك الله سوءًا. ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي يَرْجِعُ إليه العباد. قال: إذن لا نبالي أن نموت محقّين. فقال له: جزاك الله من ولد خيرًا ما جزى ولدًا عن والده.

فلما أصبح نزل فصلَّى ثم عجّل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فأتى الحرّ فردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردًّا شديدًا امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين عليه السلام، فلما نزلوا إذا راكب مقبل من الكوفة، فوقفوا ينتظرونه، فسلّم على الحرّ ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتابًا من ابن زياد، فإذا فيه: أما بعد، فجعجع بالحسين حتى يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصين وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وقد أمر رسوله أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره. وأخذهم الحرّ بالنزول على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دعنا ننزل في نينوى أو الغاضرية أو شفية. فقال: لا أستطيع، هذا الرجل قد بعث عينًا عليَّ. فقال زهير ابن القين للحسين: إنه لا يكون والله بعد ما ترون إلا ما هو أشدّ منه يا ابن رسول الله، وإن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم،

فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قِبَلَ لنا به! فقال الحسين: ما كنت لأبدأهم بالقتال. فقال له زهير: سر بنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فإنها حصينة وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم فقتالهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم. فقال الحسين: ما هي؟ قال: العَقْر. قال: اللهم إني أعوذ بك من العَقْر! ثم نزل، وذلك يوم الخميس الثاني من محرم سنة إحدى وستين.

مقدم عمر بن سعد إلى المعركة ضدّ الحسين

فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة ءالاف، وكان سبب مسيره إليه أن عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة ءالاف في دستبى، وكانت الديلم (هم فئة من الناس) قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده على الري، فعسكر بالناس في حمام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد وقال له: سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك. فاستعفاه. فقال: نعم، على أن تردّ عهدنا - أي تترك الحكم وتتنازل عنه -. فلما قال له ذلك قال: أمهلني اليوم حتى أنظر. فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خالي أن تسير إلى الحسين فتأثم وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض لو كان لك خير من أن تلقى الله بدم الحسين! فقال: أفعل. وبات ليلته مفكرًا في أمره، فسمع وهو يقول: [الطويل]

أأترك ملك الري والري رغبةً ... أم ارْجِعُ مذمومًا بقتل حسينِ

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجابٌ وملك الريّ قرة عينِ

ثم أتى ابنَ زياد فقال له: إنك قد وليتني هذا العمل وسمع الناس به، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل، وابعث إلى الحسين من أشراف الكوفة من لست أغنى في الحرب منه، وسمى أناسًا. فقال له ابن زياد: لست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث! فإن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا. قال: فإني سائر! فأقبل في ذلك

الجيش حتى نزل بالحسين، فلما نزل به بعث إليه رسولًا يسأله ما الذي جاء به، فقال الحسين: كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم، فأما إذ كرهوني فإني أنصرف عنهم. فكتب عمر إلى ابن زياد يعرّفه ذلك، فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال: [الكامل]

الآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناصِ

ثم كتب إلى عمر يأمره أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فإن فعل ذلك رَأَيْنَا رَأْيَنَا، وأن يمنعه ومن معه الماء. فأرسل عمر بن سعد عمرَو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة - أي مورد الشاربين - وحالوا بين الحسين وبين الماء. وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ونادى عبد الله بن أبي الحصين الأزدي، وعداده في بجيلة: يا حسين أما تنظر إلى الماء؟ لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا! فقال الحسين: اللهم اقتله عطشًا ولا تغفر له أبدًا. قال: فمرض فيما بعد فكان يشرب الماء القلة ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يبغر - أي يشرب فلا يروى - ثم يقيء ثم يشرب فيما يروى، فما زال كذلك حتى مات.

فلما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر أخاه العباس بن عليّ فسار في عشرين راجلًا يحملون القرب وثلاثين فارسًا، فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤوا القرب وعادوا، ثم بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرَو بن قرظة بن كعب الأنصاريّ: أن القني الليلة بين عسكري وعسكرك. فخرج إليه عمر، فاجتمعا وتحادثا طويلًا ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره، وتحدث الناس أن الحسين قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين. فقال عمر: أخشى أن تهدم داري. قال: أبنيها لك خيرًا منه. قال: تؤخذ ضياعي. قال: أعطيك خيرًا منها من مالي بالحجاز. فكره ذلك عمر.

وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعوه، وقيل: بل قاله له: اختاروا مني واحدة من ثلاث: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروا بي إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلًا من أهله لي ما لهم وعليَّ ما عليهم.

وقد روي عن عقبة بن سمعان أنه قال: صحبت الحسينَ من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قُتِلَ رضي الله عنه، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس. فلم يفعلوا.

ثم التقى الإمامُ الحسينُ رضي الله عنه وعمر بن سعد مرارًا ثلاثًا أو أربعًا، فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الله أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيّره إلى أي ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللأمة صلاح، فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت.

فقام إليه شَمِرُ بن ذي الجوشن – عليه من الله ما يستحقّ فهو ذابح الحسين – فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكوننَّ أولى بالقوة والعزة، ولتكوننَّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن! ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبتَ كنت وليَّ العقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك، واللهِ لقد بلغني أن الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين.

فقال ابن زياد: نِعْمَ ما رأيت، الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليَّ سلمًا، وإن أبوْا فليقاتلهم، وإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه. وكتب معه إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكفَّ عنه ولا لتمنّيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعًا، انظر، فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم

إليَّ سلمًا، وإن أبوْا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتِلَ الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره، فإنه عاقٌ شاقٌّ قاطع ظلوم، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخلّ بين شمر وبين العسكر، والسلام.

فلما أخذ شَمِرُ الكتاب كان معه عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام عند ابن زياد، وكانت عمته أم البنين بنت حزام بن عليّ، فولدت له العباس وعبد الله وجعفرًا وعثمان، فقال لابن زياد: إن رأيت أن تكتب لبني أختنا أمانًا فافعل، فكتب لهم أمانًا فبعث به مع مولى له إليهم، فلما رأوا الكتاب قالوا: لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية.

فلما أتى شمر بكتاب ابن زياد إلى عمر قرأه وقال له: ما لك ويلك، قبّح الله ما جئت به! والله إني لأظنّك أنت ثنيته أن يقبل ما كنتُ كتبتُ إليه به، أفسدت علينا أمرًا كنا رجونا أن يصلح، والله لا يستسلم الحسين أبدًا، والله إن نفس أبيه لبين جنبيه. فقال له شمر: ما أنت صانع؟ قال: أتولّى ذلك. ونهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمر فدعا العباس بن عليّ وإخوته فخرجوا إليه، فقال: أنتم يا بني أختي ءامنون. فقالوا له: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنت خالنا أتؤمّننا، وابن رسول الله لا أمان له؟

ثم ركب عمر والناس معه بعد العصر، والحسين جالس أمام خيمته محتبيًا بسيفه إذ خفق برأسه على ركبته، وسمعت أخته زينب الضجة فدنت منه فأيقظته، فرفع رأسه فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ، في المنام، فقال: إنك تروح إلينا، قال: فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتاه! قال: ليس لك الويل يا أخية، اسكتي رحمك الله! قال له العباس أخوه: يا أخي أتاك القوم، فنهض فقال: يا أخي أركب بنفسي. فقال له العباس: بل أروح أنا، فقال: اركب أنت حتى تلقاهم، فتقول: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم. فأتاهم في نحو عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين فسألهم، فقالوا: جاء أمر الأمير بكذا وكذا، قال: فلا تعجلوا حتى

أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا ورجع العباس إليه بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويذكرونهم الله، فلما أخبره العباس بقولهم قال له الحسين: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلّي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار. وأراد الحسين أيضًا أن يوصي أهله، فرجع إليهم العباس وقال لهم: انصرفوا عنا العشية حتى ننظر في هذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإما رضيناه وإما رددناه.

فقال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: أنت الأمير، فأقبل على الناس فقال: ما ترون؟ فقال له عمرو بن الحجاج الزبيديّ: سبحان الله! والله لو كانوا من الديلم ثم سألوكم هذه المسألة لكان ينبغي أن تجيبوهم، وقال قيس بن الأشعث ابن قيس: أجبهم لعمري ليصبحنك بالقتال غدوة، فقال: لو أعلم أن يفعلوا ما أخّرتهم العشية، ثم رجع عنهم.

فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال: أُثْنِي على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة[1] وجعلت لنا أسماعًا وأبصارًا وأفئدةً، وعلّمتنا القرءان وفقّهتنا في الدين، فاجعلنا لك من الشاكرين، أما بعد، فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي - أي في زمانه -، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعًا عني خيرًا، ألا وإني لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا، وإني قد أذنت لكم جميعًا فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعًا، ثم تفرَّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإن القوم يطلبونني ولو أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري.

وهكذا أخذ هؤلاء الرجال المخلصون يصرّون على البقاء مع الإمام، ويؤكدون في إيمان قويّ حرصهم على حمايته والبقاء معه، وبذل كلّ ما يستطيعونه

(١) أي لأنه ابن بنت نبي الله عليه الصلاة والسلام.

في سبيل نصرته ومجابهة أعدائه، فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم أجمعين: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبدًا! فقال الحسين: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنتُ لكم، قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن منهم برمح ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟! لا والله لا نفعل، ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نَرِدَ موردك، فقبّح الله العيش بعدك!

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسديّ فقال: أنحن نتخلى عنك ولم نعذر إلى الله في أداء حقّك، أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُهُ بيدي، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. وتكلم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيرًا ورحمهم رحمة واسعة.

وهكذا نقرأ من أمثلة البطولة والإيمان القويّ والعزيمة الصادقة، ما يجعلنا نغبط هؤلاء الأبطال الذين سعدوا بصحبة الإمام الحسين، وناصروه في أشدّ أوقات حياته حرجًا، فنتمنى من كلّ قلوبنا لو كنّا معهم، ندافع عن العترة النبوية كما دافعوا هم عنهم، ونحميهم كما حموهم.

وسمعته أخته زينب رضي الله عنها تلك العشية وهو في خباء له يقول، وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه: [الرجز]

يا دهرُ أفٍ لك من خليلِ	كم لك بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحب أو طالبٍ قتيلِ	والدهرُ لا يقنعُ بالبديلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ	وكلُّ حيّ سالكُ السبيلِ

فأعادها مرتين أو ثلاثًا، فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها حتى انتهت إليه ونادت: واثكلاه! ليتَ الموت أعدمني الحياة اليوم! ماتت فاطمة أمي وعليٌّ أبي والحسن أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي! فذهب فنظر إليها وقال:

يا أخية، لا يذهبنَّ حلمَكِ الشيطانُ. قالت: بأبي أنت وأمي استقتلت! نفسي لنفسك الفدى! فردَّد غصته وترقرقت عيناه ثم قال: لو تُرِكَ القَطا[1] ليلًا لنام. فلطمت وجهها وقالت: واويلتاه! أفتغصبك نفسك اغتصابًا، فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ثم بكت وخرّت مغشيًّا عليها، فقام إليها الحسين فصبّ الماء على وجهها وقال: اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجه الله، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أخية، إني أقسم عليك لا تشقي علي جيبًا، ولا تخمشي عليَّ وجهًا، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إن أنا هلكت. ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، ويكونوا بين يدي البيوت، فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم، فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ويتضرّعون ويدعون.

فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت، وقيل الجمعة، يوم عاشوراء، خرج فيمن معه من الناس، وعَبّى[2] الحسين أصحابه وصلّى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا، وأربعون راجلًا، فجعل زهيرَ بنَ القين في ميمنة أصحابه، وحبيبَ بنَ مطهر في ميسرتهم، وأعطى رايته العباسَ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطَبٍ وقصبٍ فأُلْقِيَ في مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم وأضرم نارًا تمنعهم ذلك.

وجعل عمرُ بن سعد على رُبْع أهل المدينة عبدَ الله بن زهير الأزديّ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى رُبْع مذحج وأسد عبد الرحمن ابن أبي سبرة الجعفيّ، وعلى رُبْع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحيّ، فَشَهِدَ هؤلاء كلُّهم مقتلَ الحسين إلا الحُرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقُتِلَ معه رحمه الله،

(١) تاج العروس، مادة ق ط و: «القَطاة: طائر مشهور، ومنه المثل: لو تُرِكَ القَطا لنَامَ، يُضرب لمن يَهِيجُ إذا تُهيِّج» اهـ. (٣٩/ ٣٢٠).

(٢) القاموس المحيط، مادة ع ب ا: «تَعْبِيَةُ الجيش: تَهيِئَتُه في مَواضِعِه» اهـ. (١/ ١٦٨٨).

وجعل عمرُ على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيديَّ، وعلى ميسرته شَمِر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة بن قيس الأحمسيّ، وعلى الرجال شَبَث بن ربعيّ اليربوعيّ التميميّ، وأعطى الراية دُرَيْدًا مولاه.

بدايات المعركة الفاصلة

فلما دنوا من الحسين أمر فضرب له فسطاط، ثم أمر بمسْكٍ فَمِيْثَ أي خُلِطَ في جفنة، ثم دخل الحسين فاستعمل النورة، ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير ابن حضير الهمدانيّ على باب الفسطاط وازدحما أيهما يطلي بعده، فجعل برير يهازل عبد الرحمن، فقال له: والله ما هذه بساعة باطل. فقال برير: والله إن قومي لقد علموا أني ما أحببت الباطل شابًّا ولا كهلًا، ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم.

فلما فرغ الحسين دخلا، ثم ركب الحسين رضي الله عنه دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، واقتتل أصحابه بين يديه، فرفع يديه ثم قال كما نُسِبَ إليه: اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدَّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويُخْذَل فيه الصديق، ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً إليك عمن سواك، ففرَّجتَه وكشفتَه وكفيتنيه، فأنت وليُّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة.

فلما رأى أصحابُ عمر النارَ تلتهب في القصب، نادى شَمِرٌ الحسين: تعجّلت النار في الدنيا قبل القيامة! فعرفه الحسين فقال: أنت أولى بها صليًّا! ثم ركب الحسين راحلته وتقدم إلى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال: أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظهم بما يجب لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ

﴿أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[2]، فلما سمع أخواته قوله بكين وصِحْنَ وارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهنَّ أخاه العباس وابنه عليًّا ليسكتاهن، وقال: لعمري ليكثرن بكاؤهن! فلما ذهب قال: لا يبعد ابن عباس، وإنما قالها حين سمع بكاءهن لأنه كان نهاه أن يخرج بهنَّ معه.

فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ وعلى الملائكة والأنبياء وقال ما لا يحصى كثرة، فما سمع أبلغ منه، ثم قال: أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها، وانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألستُ ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه، وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله ﷺ، قال لي ولأخي: أنتما **«سيدا شباب أهل الجنة»**[3] وقرة عين أهل السنة؟ فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق، والله ما تعمّدت كذبًا مذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم أو أنسًا يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله ﷺ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟

فقال له شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول! فقال له حبيب ابن مطهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفًا، وإن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

ثم قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شكّ مما أقول أو تشكّون في أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٣) سنن الترمذيّ، (٥/ ٦٥٦).

غيركم. أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلتُهُ، أو بمال لكم استهلكتُهُ، أو بقِصاص من جراحة؟ فلم يكلموه، فنادى: يا شَبَث بن ربعيّ! ويا حجار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليَّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل، ثم قال: بلى فعلتم، ثم قال: أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أوّلًا تنزل على حكم ابن عمك، يعني ابن زياد، فإنك لن ترى إلا ما تحبّ، فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله ولا أعطيهم بيدي عطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبد. عبادَ الله، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[1]، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[2]، ثم أناخ راحلته ونزل عنها.

وخرج زهير بن القين على فرس له في السّلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إنَّ حقًّا على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمّة وأنتم أمة، إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيه محمّد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطّاغية ابن الطّاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كلّه، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حُجْر بن عديّ وأصحابه، وهانئ ابن عروة وأشباهه! فسبُّوه وأثنوا على ابن زياد، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سلمًا. فقال لهم: يا عباد الله، إنَّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنّصر من ابن سميّة، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، خلُّوا بين الرّجل وبين ابن عمه يزيد بن

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٧.

معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. فرماه شَمِرٌ بسهم وقال: اسكت، أَسْكَتَ اللهُ نَأْمَتَك[1]، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال زهير: يا ابن البوّال على عقبيه! ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة! والله ما أظنك تحكم من كتاب الله ءايتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. قال: أفبالموت تخوفني؟ والله للموت معه أحبّ إليَّ من الخلد معكم! ثم رفع صوته وقال: يا عباد الله، لا يغرّنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تنال شفاعة محمد قومًا أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا مَن نصرهم وذبّ عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع.

انتقال الحرّ بن يزيد إلى جهة الحسين

ولما زحف عمر نحو الحسين أتاه الحرّ بن يزيد فقال له: أصلحك الله! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له: إي إي والله قتالًا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضًى؟ فقال عمر بن سعد: والله لو كان الأمر إليَّ لفعلت، ولكنَّ أميرك قد أبى ذلك! فأقبل الحرّ يدنو نحو الحسين قليلًا قليلًا، وأخذته رعدة، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: والله إن أمرك لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قطّ ما أراه الآن! ولو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتُك. فقال له: إني والله أخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، ولا أختار على الجنة شيئًا ولو قُطّعْتُ وحُرّقْتُ. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين، فقال له الحرّ: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، ووالله ما ظننت أن القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبدًا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبدًا، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا

---

(١) القاموس المحيط، مادة: ن أ م: «أَسْكَتَ الله تعالى نأْمَتَه، ويقالُ: نامَّتَه مُشددةً، أي: أماتَهُ» اهـ (١/ ١٤٩٩).

يرون أني خرجت من طاعتهم، وأما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإني قد جئتك تائبًا مما كان مني إلى ربي مؤاسيًا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك. «ثم قال له: ما اسمك؟ قال: أنا الحرّ بن يزيد، قال: أنت الحرّ كما سمّتك أمك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل، فقال: أنا لك فارسًا خير مني راجلًا، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير ءاخر أمري. فقال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك»[1].

وتقدَّم الحُرُّ أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله؟ فقال عمر: لقد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً. فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهَبَل والعُبْر - أي الثكل -! أَدَعَوْتُمُوه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضرًّا، ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهوديّ والنصرانيّ والمجوسيّ، ويتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هو وأهله قد صرعهم العطش!! بئسما خلفتم محمدًا في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظمإ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه! فرموه بالنبل، فرجع حتى وقف أمام الحسين.

ثم قدم عمر بن سعد برايته، وأخذ سهمًا فرمى به وقال: اشهدوا لي أني أول رامٍ! ثم رمى الناس، وبرز يسار، مولى زياد، وسالم، مولى عبيد الله، وطلبا البراز، فخرج إليهما عبد الله بن عمير الكلبيّ، وكان قد أتى الحسين من الكوفة وسارت معه امرأته، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير ابن القين، أو حبيب بن مطهر، أو برير بن حضير. وكان يسار أمام سالم، فقال له الكلبيّ: يا ابن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٢٠).

أحد إلا وهو خير منك! ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه، فحمل عليه سالم، فلم يأبه له حتى غشيه فضربه، فاتقاه الكلبيّ بيده فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبيّ فضربه حتى قتله، وأخذت امرأته عمودًا، وكانت تسمى أم وهب، وأقبلت نحو زوجها وهي تقول: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية محمد! فردَّها نحو النساء، فامتنعت وقالت: لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها الحسين فقال: جزيتم من أهل بيت خيرًا! ارجعي رحمك الله، ليس الجهاد إلى النساء. فرجعت.

فزحف عمرو بن الحجاج في ميمنة عمر، فلما دنا من الحسين جَثَوْا له على الرُّكَب وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالًا وجرحوا ءاخرين.

وتقدّم رجل منهم يقال له ابن حَوْزة فقال: أفيكم الحسين؟ فلم يجبه أحد، فقالها ثلاثًا، فقالوا: نعم، فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار! قال له: كذبت بل أَقْدُمُ على ربّ رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حَوزة. فرفع الحسين يديه فقال: اللهم حُزْهُ إلى النار! فغضب ابن حَوْزة فأقحم فرسه في نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس فسقط عنها، فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقي جنبه الآخر متعلّقًا بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات.

وكان مسروق بن وائل الحضرميّ قد خرج معهم وقال لعلّي أُصيب رأس الحسين، فأُصيب به منزلة عند ابن زياد، فلما رأى ما صنع الله بابن حَوزة بدعاء الحسين رجع وقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئًا، لا أقاتلهم أبدًا.

ونشب القتال وخرج من جهة البغاة المقاتلين للحسين يزيدُ بنُ معقل حليف عبد القيس فقال: يا بُرَيْر بن حُضَيْر - وكان مع الحسين - كيف ترى الله صنع بك؟ قال: والله لقد صنع بي خيرًا وصنع بك شرًا. فقال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذّابًا، وأنا أشهد أنك من الضالين. فقال له ابنُ حضير: هل لك أن أباهلك أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل، ثم أخرج أبارزك! فخرجا فتباهلا أن

يلعنَ اللهُ الكاذبَ ويقتلَ المحقُّ المبطلَ ثم تبارزا فاختلفا ضربتين، فضرب يزيدُ بن معقل بريرَ بن حُضير فلم يضرّه شيئًا وضربه ابنُ حضير ضربةً قدّت المِغْفَر[1] وبلغت الدماغ فسقط والسيف في رأسه، فحمل عليه رضى بن منقذ العبديّ، فاعتنق ابنَ حضير، فاعتركا ساعة ثم إن ابنَ حضير قعد على صدره، فحمل كعبُ ابنُ جابر الأزديّ عليه بالرمح، فوضعه في ظهره حتى غيّب السنان فيه، فلما وجد مس الرمح نزل على رضى فعض أنفه وقطع طرفه، وأقبل إليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله، وقام رضى ينفض التراب عن قبائه، فلما رجع كعب قالت له امرأته: أعنت على ابن فاطمة وقتلت بُرَيرًا سيد القراء، والله لا أكلمك أبدًا!

وخرج عمرو بن قرظة الأنصاريّ من معسكر الحسين فقال[2]: [الرجز]

قد عَلِمَتْ كتيبةُ الأنصارِ أني سأحمي حَـوزةَ الـذّمـارِ

ضَرْبَ غلامٍ غيرِ نِكْسٍ شاري دونَ حسينٍ مهجتي وداري

وقاتل دون الحسين فَقُتِل، وكان أخوه مع عمر بن سعد، فنادى: يا حسين يا كذاب ابن الكذاب! أضللتَ أخي وغررته حتى قتلتَه! فقال: إن الله لم يضلَّ أخاك بل هداه وأضلَّك. قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك. فحمل واعترضه نافعُ بن هلال المراديّ فطعنه فصرعه، فحمل أصحابه فاستنقذوه فَدُوْوِيَ بَعْدُ فبرأ.

وقاتل الحرُّ بن يزيد مع الحسين قتالًا شديدًا، وبرز إليه يزيد بن سفيان فقتله الحرّ، وقاتل نافع بن هلال مع الحسين أيضًا فبرز إليه مزاحم بن حريث فقتله نافع.

وظلّت المعركة على هذا الحال من المبارزة، حتى ضاق الأعداء بذلك، وفزعوا من إقدام أصحاب الحسين، وتفانيهم في حمايته، واستماتتهم في الدفاع عنه، فصاح عمرو بن الحجاج - وهو من معسكر البغاة - بالناس: أتدرون من

---

(١) القاموس المحيط، مادة: غ ف ر: «المِغْفَر: زَرَدٌ من الدِّرْعِ يُلْبَسُ تحتَ القَلَنْسُوَةِ أو حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بها المتَسَلّحُ» اهـ. (١/ ٥٨٠).

(٢) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٢٤).

تقاتلون؟ فرسان المصر، قومًا مستميتين لا يبرز إليهم منكم أحد فإنهم قليل وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، لا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام! فقال عمر: الرأي ما رأيت. ومنع الناس من المبارزة. وسمعه الحسين فقال: يا عمرو ابن الحجاج أعليَّ تحرّض الناس؟ أنحن مرقنا من الدين أم أنتم؟ والله لتعلمنّ لو قُبِضَتْ أرواحكم ومِتُّم على أعمالكم أيّنا المارق؟!

ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعةً، فَصَرَعَ مسلمَ بنَ عوسجة الأسديّ أول أصحاب الحسين، وانصرف عمروٌ ومسلمٌ صريع، فمشى إليه الحسين وبه رمقٌ فقال: رحمك الله يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[1]. ودنا منه حبيب بن مطهر وقال: عزَّ عليَّ مصرعك، أبشر بالجنة، ولولا أني أعلم أنني في أثرك لاحقٌ بك لأحببت أن توصيني حتى أحفظك بما أنت له أهل. فقال: أوصيك بهذا، رحمك الله، وأومأ بيده نحو الحسين، أن تموت دونه. فقال: أفعل وربِّ الكعبة. ثم مات مسلم وصاحت جاريةٌ له فقالت: يا ابن عوسجتاه! يا سيداه![2] فنادى أصحاب عمرو: قتلنا مسلمًا.

فقال شَبَث وهو من البغاة لبعض من حوله: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون بقتل مثل مسلم؟ أما والذي أسلمت له لَرُبَّ موقفٍ له قد رأيته في المسلمين، فلقد رأيته يوم سلق أذربيجان قَتَلَ ستةً من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين، أفيقتل مثله وتفرحون؟ وكان الذي قتله مسلم بن عبد الله الضبابيّ وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجليّ.

وحمل شمر في الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب، فَقُتِلَ الكلبيُّ وقد قَتَلَ رجليْنِ بعد الرجلين

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٢٥).

الأولين وقاتل قتالًا شديدًا، فقتله هانئ بن ثبيت الحضرميّ وبكير بن حيّ التميميّ من تيم الله بن ثعلبة، وقاتل أصحاب الحسين قتالًا شديدًا، وهم اثنان وثلاثون فارسًا، فلم تحمل على جانب من خيل الكوفة إلا كشفته. فلما رأى ذلك عَزْرَةُ ابن قيس، وهو على خيل الكوفة، بعث إلى عمر فقال: ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة؟ ابعث إليهم الرجال والرماة. فقال لشَبَث بن ربعيّ: ألا تقدم إليهم! فقال: سبحان الله! شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعثه في الرماة، لم تجد لهذا غيري! ولم يزالوا يرون من شَبَث الكراهة للقتال حتى إنه كان يقول في إمارة مصعب: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيرًا أبدًا، ولا يسدّدهم لرشد، ألا تعجبون أنَّا قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه ءالَ أبي سفيان خمسَ سنين، ثم عَدَوْنا على ابنِهِ وهو خيرُ أهل الأرض - أي في زمانه - نقاتله مع ءال معاوية وابن سمية، ضلال يا لك من ضلال!

فلما قال شَبَث ذلك دعا عمرُ بنُ سعد الحصينَ بنَ نمير فبعث معه المجَفَّفَة[1] وخمسمائة من المرامية[2]، فلما دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجّالة - أي مشاة على أرجلهم - كلهم، وقاتلَ الحرُّ ابن يزيد راجلًا قتالًا شديدًا، فقاتلوهم، إلى أن انتصف النهار أشدّ قتال خلقه الله - أي ذلك اليوم - لا يقدرون يأتونهم إلا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم.

فلما رأى ذلك عمر أرسل رجالًا يقوّضونها عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم، فكان النفر من أصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخلّلون البيوت فيلقوْن الرجلَ وهو يقوّض وينهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر ابن سعد فأُحْرِقَت، فقال لهم الحسين: دعوهم فليحرقوها فإنهم إذا حرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها. فكان كذلك، وأخذوا ألا يقاتلونهم إلا من وجه واحد.

---

(1) تاج العروس، مادة: ج ف ف: «قال ابن الأثير: التَّجْفَافُ ما جُلِّلَ به الفَرَسُ مِنْ سِلَاحٍ وءالَة تَقِيهِ الجِرَاحَ. وجَفَّفَ الْفَرَسَ: أَلْبَسَهُ إِيَّاهُ، ومنه حديثُ الحُدَيْبِيَةِ: جاءَ يَقوده إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ، أي: عليه تِجْفَافٌ» اهـ. (٢٣/ ٩٣).

(2) اي الرماة.

وخرجت امرأة الكلبيّ تمشي إلى زوجها، فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول: هنيئًا لك الجنة! فأمر شَمِر غلامًا اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فماتت مكانها رحمها الله.

وحمل شَمِر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى: عليَّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصاح النساء وخرجن، وصاح به الحسين: أنت تحرق بيتي على أهلي؟ حَرَّقك الله بالنار! فقال حميد بن مسلم لشمر: إن هذا لا يصلح لك، تعذّب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء؟! والله إن في قتل الرجال لما يرضى به أميرك! فلم يقبل منه، فجاءه شَبَث بن ربعيّ فنهاه فانتهى، وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزة الضبابيّ، وكان من أصحاب شمر، وعطف الناس عليهم فكثّروهم، وكانوا - أي أصحاب الحسين - إذا قُتِلَ منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلّتهم، وإذا قُتِلَ في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم.

ولما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ للحسين: نفسي لنفسك الفداء! أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقْتَل حتى أقتل دونك، وأحبّ أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة! فرفع الحسين رأسه وقال: ذكرتَ الصلاةَ جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلي. ففعلوا، فقال لهم الحصين: إنها لا تقبل! فقال له حبيب ابن مطهر: زعمت لا تقبل الصلاة من ءال رسول الله ﷺ وتقبل منك يا حمار! فحمل عليه الحصين، وخرج إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه، وقاتل حبيب قتالًا شديدًا فَقَتَلَ رجلًا من بني تميم اسمه بُدَيْل بن صُرَيم، وحمل عليه ءاخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل إليه التميميّ فاحتزّ رأس حبيب رحمه الله تعالى، فقال له الحصين: أنا شريكك في قتله. فقال الآخر: لا والله! فقال له الحصين: أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس أني شركت في قتله ثم خذه وامضِ به إلى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تُعطاه.

ففعل وجال به في الناس ثم دفعه إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الرأس وجعله في عنق فرسه ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به القاسم بن حبيب، وقد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، فارتاب به الرجل، فسأله عن حاله، فأخبره وطلب الرأس ليدفنه، فقال: إن الأمير لا يرضى أن يدفن وأرجو أن يثيبني الأمير. فقال له: لكن الله لا يثيبك إلا أسوأ الثواب. ولم يزل يطلب غرة قاتل أبيه حتى كان زمان مصعب، وغزا مصعب «باجُمَيرا»، ودخل القاسم عسكره فإذا قاتل أبيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله.

فلما قُتِلَ حبيبٌ هدَّ ذلك الإمامَ الحسين وقال عند ذلك: أحتسب نفسي وحماة أصحابي. وحمل الحُرُّ وزهيرُ بن القين فقاتلا قتالًا شديدًا، وكان إذا حَمَلَ أحدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتى يخلصه، فعلا ذلك ساعة ثم إن رجّالة - أي مشاة - حملت على الحرّ بن يزيد فقتلته، وقَتَلَ أبو ثمامة الصائديّ ابن عمّ له كان عدوه، ثم صلوا الظهر، صلى بهم الحسين صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعد الظهر، فاشتدّ قتالهم، وَوُصِلَ إلى الحسين، فاستقدمَ الحنفيُّ أمامه فاستُهْدِف لهم يرمونه بالنبل وهو بين يديه حتى سقط.

وقاتل زهيرُ بن القين قتالًا شديدًا، وأخذ يقول[1]: [الرجز]

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القَيْنِ ... أذودُهُم بالسيفِ عن حسينِ

وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول: [الرجز]

أَقْدِمْ هُدِيتَ هاديًا مَهْديّا ... فاليومَ تلقى جَدَّكَ النبيَّا
وحَسَنًا والمرتضى عليّا ... وذا الجناحيْنِ الفتى الكَمِيّا
وأَسَدَ اللهِ الشهيدَ الحيّا

فحمل عليه كثير بن عبيد الله الشعبيّ ومهاجر بن أوس فقتلاه، وكان نافع

---

(1) تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ٣٢٨.

ابن هلال الجمليّ من أصحاب الحسين قد كتب اسمه على أفواق نبله، وكانت مسمومة، فقتل بها اثني عشر رجلًا سوى من جرح، فَضُرِبَ حتى كُسِرَت عضداه وأُخِذَ أسيرًا، فأخذه شمر بن ذي الجوشن فأتى به عمر بن سعد والدم على وجهه وهو يقول: لقد قتلتُ منكم اثني عشر رجلًا سوى من جرحت، ولو بقيتْ لي عضد وساعد ما أسرتموني. فانتضى شمرٌ سيفه ليقتله، فقال له نافع: والله لو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه! فقتله شمرٌ ثم حَمَلَ على أصحاب الحسين.

فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسَهم تنافسوا في أن يُقْتَلُوا بين يديه، فجاء عبد الله وعبد الرّحمن ابنا عروة الغِفَاريّان إليه فقالا: قد حازنا العدوّ إليك، فأحببنا أن نقتلَ بين يديك، نمنعك وندفع عنك، فقال: مرحبًا بكما، ادْنُوا مني. فجعلا يقاتلان بين يديه قريبًا منه.

وأتاه الفتيان الجابريان وهما سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عمّ وأخوان لأم وهما يبكيان، فقال لهما: ما يبكيكما؟ إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين. فقالا: والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، نراك قد أُحِيطَ بك ولا نقدر أن نمنعك! فقال: جزاكما الله جزاء المتقين!

وجاء حنظلة بن أسعد الشباميّ فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي ويتلو قول الله تعالى إخبارًا عن مؤمن بني إسرائيل الذي كان عند فرعون: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[1]. يا قوم، لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾[2]، فقال له الحسين:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٠ – ٣٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٦١.

رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن قد قتلوا إخوانك الصالحين! فسلّم على الحسين وصلّى عليه وعلى أهل بيته وتقدّم وقاتل حتى قُتِلَ. وتقدّم الفتيان الجابريان فودَّعا الحسين وقاتلا حتى قُتِلا رحمهم الله جميعًا.

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكريّ ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع؟! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أقتل، قال: ذلك الظن بك، أمَّا لا فتقدَّمْ بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسِبَكَ كما احتسبَ غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به مني بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى أحتسبه، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب. فتقدّم شوذب فسلّم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قُتِلَ.

ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزَّ عليَّ ولا أحبَّ إليَّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشىء أعزَّ عليَّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أُشْهِدُ اللهَ أني على هديك وهديِ أبيك. ثم مشى بالسيف مصلتًا نحوهم وبه ضربة على جبينه.

وينقل لنا ربيع بن تميم الذي شهد ذلك اليوم ذلك المشهد قائلًا: لمّا رأيتُه مقبلًا عرفته وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة! فَرُمِيَ بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومِغْفَرَهُ ثم شدّ على الناس، فوالله لرأيته يكرُد أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم انعطفوا عليه من كل جانب فقُتِلَ، قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته! وهذا يقول: أنا قتلته! فأتوا عمرَ بنَ سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرّق بينهم بهذا

القول[1].

وعن الضحاك بن عبد الله المشرقيّ قال: لمّا رأيتُ أصحاب الحسين قد أُصيبوا وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غيرُ سُوَيْد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعميّ وبُشَيْر بن عمرو الحضرميّ، قلت له: يا ابن رسول الله، قد علمتَ ما كان بيني وبينك، قلتُ لك: أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلًا، فإذا لم أرَ مقاتلًا فأنا في حلّ من الانصراف. فقلت لي: نعم، فقال: صدقت، وكيف لك بالنجاء؟ إن قدرت على ذلك فأنت في حلّ. فأقبلتُ إلى فرسي، وقد كنت حيث رأيتُ خيلَ أصحابنا تُعْقَر أقبلتُ بها حتى أدخلتُها فسطاطًا لأصحابنا بين البيوت، وأقبلتُ أقاتلُ معهم راجِلًا - أي على رِجْلَيّ - فقتلتُ يومئذ بين يدي الحسين رجليْنِ وقطعتُ يدَ ءاخر. وقال لي الحسين يومئذ مرارًا: لا تُشْلل، لا يقطعُ اللهُ يدك، جزاك الله خيرًا عن أهل بيت نبيك ﷺ، فلما أَذِنَ لي استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويتُ على متنها ثم ضربتها، حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عرض القوم، فأفرجوا لي واتبعني منهم خمسة عشر رجلًا، حتى انتهيت إلى «شُفَيَّة»، وهي قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما لحقوني عطفت عليهم، فعرفني كثيرُ بن عبد الله الشعبيّ وأيوب بن مشرح الخيوانيّ وقيس بن عبد الله الصائديّ، فقالوا: هذا الضحاك بن عبد الله المشرقيّ، هذا ابن عمنا، نَنْشُدُكم اللهَ لما كففتم عنه! فقال: ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيبنّ إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم، قال: فلما تابع التميميون أصحابي كفّ الآخرون، فنجّاني الله[2].

وجثا أبو الشعثاء الكنديّ، وهو يزيد بن أبي زياد، بين يدي الحسين، فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكلما رمى يقول له الحسين: اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة! وكان يزيد هذا فيمن خرج مع عمر بن سعد، فلما ردّوا الشروط على الحسين عدل إليه فقاتل بين يديه، وكان أول من قُتل.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٢٩).

(٢) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٣٠).

وأما الصيداوي عمرو بن خالد وجبار بن الحارث السلمانيّ وسعد مولى عمرو بن خالد ومجمع بن عبيد الله العائذيّ فإنهم قاتلوا أول القتال، فلما وغلوا فيهم عطفوا إليهم فقطعوهم عن أصحابهم، فحمل العباس بن عليّ فاستنقذهم وقد جرحوا، فلما دنا منهم عدوّهم حملوا عليهم فقاتلوا فَقُتِلُوا في أول الأمر في مكان واحد.

بداية مقتل ءال بيت النّبوة

وكان ءاخر من بقي من أصحاب الحسين سويد بن أبي المطاع الخثعميّ، وكان أول من قُتِلَ من ءال بني أبي طالب يومئذٍ عليّ الأكبر ابن الحسين، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية، وذلك أنه حمل عليهم وهو يقول: [الرجز]

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليْ نحنُ وربِّ البيتِ أولى بالنبيْ
تاللهِ لا يحكمُ فينا ابنُ الدَّعِيْ

ففعل ذلك مرارًا، فحمل عليه مُرَّة بن منقذ العبديّ فطعنَهُ فَصُرِعَ وقطَّعَه الناس بسيوفهم والعياذ بالله تعالى، فلما رءاه الحسين قال: قتلَ اللهُ قومًا قتلوك! يا بني ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدَكَ العفاء! وعن حميد بن مسلم الأزديّ قال: سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قومًا قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الرّحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفاء، قال وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أُخَيّاه، ويا ابن أُخَيّاه! فسألتُ عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتى أكبّت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

ثم إن عمرو بن صبيح الصدائيّ رمى عبدَ الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطع أن يحركها ثم رماه بسهم ءاخر فقتله.

وحمل الناس عليهم من كل جانب، فحمل عبدُ الله بن قطبة الطائيّ على عون ابن عبد الله بن جعفر فقتله، وحمل عثمان بن خالد بن أسير الجهنيّ وبشر بن سوط الهمدانيّ على عبد الرّحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل فقتله. ثم حمل القاسم بن الحسن بن عليّ وبيده السيف،

فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزديّ فضرب رأسه بالسيف فسقط القاسم إلى الأرض لوجهه وقال: يا عماه! فانقضّ الحسين إليه كالصقر ثم شدّ شدّةَ ليثٍ أغضب فضرب عَمْرًا بالسيف فاتقاه بيده، فقطع يده من المرفق فصاح، وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عَمْرًا فاستقبلته بصدورها وجالت عليه فوطئته حتى مات، وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم وهو يفحص برجليه، والحسين يقول: بُعْدًا لقوم قتلوك، ومَنْ خَصْمُهُم يومَ القيامة فيك جدّك ﷺ! ثم قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته، والله، هذا يوم كثر واتِره وقلَّ ناصرُه! ثم احتمله على صدره حتى ألقاه مع ابنه عليّ ومَنْ قُتِلَ معه من أهل بيته.

ءاخر ساعات حياة الإمام الحسين

ظلّ الإمام الحسين يقاوم الأعداء، ويواجههم جماعة بعد جماعة، في بأس شديد وتجلُّد كبير، بعد أن سقط معظم أصحابه وأهل بيته.

وهنا نصل إلى ذروة الفجيعة، وقمة المأساة، فقد أعمى الله بصائر أعدائه، فقد مكث الإمام الحسين رضوان الله عليه طويلًا من النهار، كلما انتهى إليه رجلٌ من الناس رجع عنه وكرهَ أن يتولى قتله وعظم إثمه عليه، ثم إن رجلًا من كِندة يقال له مالك بن النُّسَيْر أتاه فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البرنس وأدمى رأسه وامتلأ البرنس دمًا، فقال له الحسين: لا أكلتَ بها ولا شربتَ، وحشرك الله مع الظالمين! وألقى البرنس ولبس القلنسوة، وأخذ الكِنديُّ اللعينُ البرنس، فلما قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أَسَلَبَ ابنِ بنت رسول الله تُدْخِلُ بيتي؟ أَخرِجْهُ عني! قال: فلم يزل ذلك الرجل فقيرًا بشرٍّ حتى مات لعنه الله.

ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد فذبحه، فأخذ الحسين دمه فصبّه في الأرض ثم قال: ربي، إن تكن حبست عنا

النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقِم من هؤلاء الظالمين.

ورمى عبدُ الله بن عقبة الغنويُّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، وزعموا أن العباس بن عليّ قال لإخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدَّموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم. ففعلوا فقُتِلُوا، وحمل هانئُ بنُ ثبيت الحضرميّ على عبد الله بن عليّ فقتله، ثم حمل على جعفر بن عليّ فقتله، ورمى خوليُّ بن يزيد الأصبحيُّ عثمانَ ابنَ عليّ، ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وجاء برأسه، ورمى رجلٌ من بني أبان أيضًا محمدَ بنَ عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

وخرج غلام من ءال الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية عليه إزار وقميص، وهو مذعور يتلفّت يمينًا وشمالًا، وهناك درتان في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف والعياذ بالله، وقيل إن ذاك الرجل هو هانئ بن ثبيت الحضرميّ عليه من الله ما يستحق.

عطش الحسين ومنعه من الشرب

واشتدّ عطشُ الإمام الحسين فدنا من الفرات ليشرب، فرماه حُصين بن نُمَيْر بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به إلى السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ما يُصْنَع بابن بنت نبيك! اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبقِ منهم أحدًا! وقيل إن الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم، فمكث ذلك الرجل يسيرًا ثم صبّ الله عليه الظمأ، فجعل لا يَرْوى، فكان يُرَوَّح عنه ويبرَّد له الماء فيه السكر وعساس - أي كوب - فيها اللبن ويقول: اسقوني، فيُعْطى القُلَّة أو العُسَّ فيشربه، فإذا شربه اضطجع هنيهةً ثم يقول: اسقوني قتلني الظمأ، فما لبث إلا يسيرًا حتى انقدّت بطنه انقداد بطن البعير.

ثم إن شَمِرَ بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو عشرة من رجالهم نحو منزل الحسين، فحالوا بينه وبين رحْله، فقال لهم الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين

ولا تخافون يوم المعاد فكونوا أحرارًا ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهالكم. فقالوا: ذلك لك يا ابن فاطمة. وأقدم عليه شمر بالرجّالة منهم: أبو الجنوب، واسمه عبد الرحمن الجعفيّ، والقشعم بن نذير الجعفيّ، وصالح بن وهب اليزنيّ، وسنان بن أنس النخعيّ، وخوليّ بن يزيد الأصبحيّ، وجعل شمر يحرّضهم على الحسين، فمرَّ بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح، فقال له: أقدِم عليه! قال: وما يمنعك أن تُقْدِمَ عليه أنت؟! فقال له شمر: ألي تقول ذا؟! قال: وأنت لي تقول ذا؟! فاستبَّا، فقال له أبو الجنوب وكان شجاعًا: واللهِ لهممتُ أن أخضخض السنان في عينك! فانصرف عنه شمر وقال: والله لئن قدرت على أن أضرَّك لأضرّنّك.

ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجّالة نحو الخمسين، فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به إحاطةً، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله فقام إلى جنبه وقد أهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخبيثة أتقتل عمي! فضربه بالسيف. فاتقاه الغلام بيده فأطنها - أي قطعها - إلى الجلدة، فنادى الغلام: يا أمتاه! فاعتنقه الحسين وقال له: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، فإن الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين، برسول الله ﷺ وعليّ وحمزة وجعفر والحسن. وقال الحسين: اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض! اللهم فإن متَّعتَهم إلى حين، ففرّقهم فرقًا، واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترضِ عنهم الولاة أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا! ثم ضارب الرجَّالة حتى انكشفوا عنه.

ولما بقي الحسين في ثلاثة أو أربعة دعا بسراويل ففزره ونكثه لئلا يُسْلَبَهُ، فقال له بعضهم: لو لبست تحته التبّان. قال: ذلك ثوب مذلّة، ولا ينبغي لي أن ألبسه. فلما قُتِلَ الإمام الحسين سلبَه بحرُ بنُ كعب، وكانت يداه في الشتاء تنضحان بالماء، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود.

وحمل الناسُ على الإمام الحسين عن يمينه وشماله، فحمل على الذين عن

يمينه فتفرّقوا، ثم حمل على الذين عن يساره فتفرّقوا، فما رؤي مكثور قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشًا منه ولا أمضى جَنَانًا ولا أجرأ مقدمًا منه، إن كانت الرجّالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب.

فبينما هو كذلك إذ خرجت زينب رضي الله عنها وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد، فقالت: يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته وصرف وجهه عنها.

وكان على الحسين جبة من خزّ، وكان معتمًّا مخضوبًا بالوسمة، وقاتل راجِلًا قتال الفارس الشجاع يتقي الرميّة، ويفترص العورة، ويشدّ على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تجتمعون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبدًا من عباد الله، وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون! أما والله لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

ومكث طويلًا من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لقتلوه، ولكنهم كان يتّقي بعضُهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيَهم هؤلاء، فنادى شمر اللعين في الناس: ويحكم، ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! فحملوا عليه من كل جانب، وقد شجّعهم ما أصابه من شدّة الإعياء والضعف، فضربَ زرعةُ بن شريك التميميُّ على كف الحسين اليسرى، وضرب أيضًا على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو، وحَمَلَ عليه في تلك الحال سنانُ بن أنس النخعيّ فطعنه بالرمح فوقع، وقال لخوليّ بن يزيد الأصبحيّ: احتزَّ رأسَه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال له سنان: فتَّ الله عضديك! وأبان يديك! ونزل إليه فذبحه واحتزَّ رأسه، وجعل سنان لا يدنو أحد من الحسين إلا شدّ عليه مخافةَ أنْ يُغلبَ على رأسه، حتى أخذ الرأس فدفعه إلى خوليّ بن يزيد، وقد ضُرِبَ الرأس قبل ذلك بالسيوف، ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية.

الطغاة المارقون يسلبون ثياب الحسين التي يلبسها بعد مقتله رضي الله عنه

ثم اندفع إليه بقية الأعداء، فسلبوا ما كان عليه، فأخذَ سراويلَه بحرُ بن كعب، وأخذ قيسُ بن الأشعث قطيفته، وهي من خزّ، فكان يسمى بَعْدُ قيس قطيفة، وأخذ نعليه الأسود الأوديّ، وأخذ سيفَهُ رجلٌ من دارم، ومال الناس على الفرش والحُلَل والإبل فانتهبوها، ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها.

وأما سُويد بن المطاع فكان قد صُرِعَ فوقع بين القتلى مثخنًا بالجراحات، فسمعهم يقولون: قتل الحسين! فوجد خفةً فوثب ومعه سكين، وكان سيفه قد أخذ، فقاتلهم بسكينة ساعة ثم قُتِلَ، قتله عروة بن بطان الثعلبيّ وزيد بن رقاد الجنبيّ، وكان ءاخر من قتل من أصحاب الحسين.

ثم انتهوا إلى عليّ بن الحسين زين العابدين، فأراد شمر قتله، فقال له حُمَيْد ابن مسلم: سبحان الله، أتقتل الصبيان! وكان مريضًا، وجاء عمرُ بن سعد فقال: ألا لا يدخلنّ بيت هذه النسوة أحد ولا يعرضنّ لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئًا فليردّه، فلم يردَّ أحد شيئًا. فقال الناس لسنان بن أنس النخعيّ: قتلت الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قتلت أعظم العرب خطرًا، أراد أن يزيل ملك هؤلاء، فأتِ أمراءَكَ فاطلب ثوابك منهم، فإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله كان قليلًا! فأقبل على فرسه، وكان شجاعًا شاعرًا به لُوثة - شبه جنون -، حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته: [الرَّجَز]

أَوْقِرْ ركابي فِضةً وذهبا ... أنا قتلتُ السيّدَ المحجَّبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أُمًّا وأبا ... وخيرَهُم إذ يُنْسَبون نَسَبا

فغضب عمر بن سعد من إطرائه لنسب الحسين وتمجيده لحسبه، إذ كان هو وابن زياد يكرهان أن يذكر الناس النسبَ الشريفَ لابن بنت رسول الله ﷺ بالتعظيم والتمجيد، وصاح في وجهه: أشهد إنك مجنون، أدخلوه عليَّ. فلما دخل حذَفَه بالقضيب وقال: يا مجنون، أتتكلم بهذا الكلام؟ والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك!

وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرىء القيس الكلبية امرأة الحسين، فقال: ما أنت؟ فقال: أنا عبد مملوك. فخلَّى سبيله، فلم ينج منهم غيره، وغير المرقّع بن ثمامة الأسديّ، وكان قد نثر نبله فقاتل، فجاء نفر من قومه فأمّنوه فخرج إليهم، فلما أُخْبِرَ ابن زياد خبره نفاه إلى الزرارة.

ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب إلى الحسين فيوطئه فرسه، فانتدب عشرة، منهم إسحاق بن حَيْوَةَ الحضرميّ، وهو الذي سلبَ قميص الحسين، فَبَرِصَ بعدُ، فأتوْا لعنهم الله فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره.

وكان عدة من قُتِلَ من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلًا. ودفنَ الحسينَ وأصحابَهُ أهلُ الغاضرية من بني أسد بعد قتلهم بيوم. وقُتِلَ من أصحاب عمر ابن سعد ثمانية وثمانون رجلًا سوى الجرحى فصلَّى عليهم عمر ودفنهم.

إرسال رؤوس الحسين عليه السلام وأصحابه إلى ابن زياد الملعون

ولمّا قُتِلَ الحسين أُرْسِلَ رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد مع خوليّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي، فوجد خوليّ القصر مغلقًا، فأتى منزله فوضع الرأس تحت إجّانة - أي مِرْكَن - في منزله ودخل فراشه وقال لامرأته النوّار ابنة مالك ابن عقرب: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار! فقالت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ؟! والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدًا! وقامت من الفراش فخرجت إلى الدار، قالت: فما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيت طيرًا بيضًا تُرفرف حولها. فلما أصبح غدا بالرأس إلى ابن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حُميد بن بُكير الأحمريّ فأذّن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعليّ بن الحسين مريض.

وقيل: بل الذي حمل الرؤوس كان شمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس، فجلس ابن زياد وأذِنَ للناس، فأُحْضِرَتِ الرؤوس بين يديه وهو ينكُتُ بقضيب بين ثنيتي الإمام الحسين - وهما مقدمتا الأسنان - ساعة، فلما رآه زيد بن الأرقم لا يرفع قضيبه قال: أُعْلُ هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبّلهما! ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرِفْتَ وذهبَ عقلُك لضربت عنقك! فنهض وخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شرارَكم، فرضيتم بالذل، فبعدًا لمن يرضى بالذل!

موقف مُبْكٍ لا يُنْسى

فأقام عمر بعد قتله يومين ثم ارتحل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعليّ بن الحسين مريض، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاحت النساء ولطمن خدودهن، وصاحت زينب أخته: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء! هذا الحسين بالعَراء، مرمَّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، تَسفي عليها الصَّبا! فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق.

فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها وتنكّرت وحفّت بها إماؤها، فقال عبيد الله: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثًا وهي لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتّلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيرًا، لا كما تقول أنت، وإنما يفتضح الفاسق ويُكَذَّب الفاجر. فقال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتِبَ عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه، وتخاصمون عنده.

فغضب ابن زياد واستشاط، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير، إنما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها؟! إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل! فقال لها ابن زياد: قد شفى الله غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت وقالت: لعمري لقد قتلتَ كهلي، وأَبَرْتَ أهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يَشْفِكَ هذا فقد اشتفيت، فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة، قد لعمري كان أبوك شاعرًا شجاعًا! فقالت: ما للمرأة والشجاعة! إن لي عن الشجاعة لشغلًا، ولكنَّ نفْثي ما أقول.

ولما نظر ابن زياد إلى عليّ بن الحسين قال: ما اسمك؟؛ قال: عليّ بن الحسين. قال: أولم يقتل اللهُ عليّ بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: كان لي

أخ يقال له أيضًا عليٌّ فقتله الناس. فقال: إن الله قتله. فسكت عليٌّ. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1]، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2]. قال: أنت والله منهم. ثم قال لرجل: ويحك! انظر هذا هل أدرك؟ إني لأحسبه رجلاً. قال: فكشف عنه مُريّ بن معاذ الأحمريّ فقال: نعم قد أدرك. قال: اقتله.

ولكنّ الغلام واجه أمره بشجاعة وثبات، فلم يهتزّ يقينه بالله، ولم يبالِ بما ينتظره من القتل، ردّ على ابن زياد قائلًا: مَنْ تُوَكِّل بهذه النسوة؟ إن كانت بينك وبينهنَّ قرابة فابعث معهن رجلًا تقيًّا يصحبهنَّ بصحبة الإسلام.

وهنا فزعت السيدة زينب وتملّكتها قوة لا يردّها سلطان ولا يرهبها سلاح، لأنها قوة من هان لديه الموت وهانت عليه الحياة، ونهضت إلى ابن شقيقها فاحتضنته وتعلّقت به تعلّق من اعتزم ألا يفارقه إلا وهو جثة هامدة، وصرخت في وجه الطاغية الملعون: يا ابن زياد، حسبك منا، أما رَوِيْتَ من دمائنا، وهل أبقيت منا أحدًا! واعتنقته وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إن قتلته لَمّا قتلتني معه! فنظر إليها ساعة ثم قال: عجبًا للرحم! والله إني لأظنّها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه.

وهكذا أنقذ الله تعالى زين العابدين رضي الله عنه من القتل، بفضل شجاعة عمته وبسالتها وقوتها.

ثم أمر ابنُ زياد فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبَه، وقَتَلَ الكذَّابَ ابنَ الكذابِ الحسينَ بن عليٍّ وشيعتَه. فوثب إليه عبد الله ابن عفيف الأزديّ ثم الوالبيّ، وكان ضريرًا قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع عليّ والأخرى بصفين معه أيضًا، وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه إلى الليل ثم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

ينصرف، فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه! يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلّمون بكلام الصديقين؟ فقال: عليَّ به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به فقتَلَه وأمرَ بصلبه في المسجد، فَصُلِبَ رحمه الله.

ثم أمر ابن زياد بأن يطاف برأس الإمام الحسين في شوارع الكوفة وأزقتها، تشفيًّا وانتقامًا، وإرهابًا للناس، وتخويفًا لهم من بطشه وطغيانه، فطيف به في الكوفة، وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام على خشبة في قول، والصحيح أن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق.

ثم قال عبيدُ الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر، أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب! قال: لتجيئنّي به! قال: ضاع! قال: والله لتجيئني به! قال: تُرِكَ والله يُقرأُ على عجائز قريش اعتذارًا إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحةً لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أدَّيتُ حقه! قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجلًا إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن حسينًا لم يقتلْ، فما أنكر ذلك عليه عبيد الله.

حمل الرؤوس إلى يزيد في الشام

ثم أرسل ابنُ زياد رأسَ الحسين ورؤوس أصحابه مع زَحْرِ بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شمر وجماعة معه، وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم عليُّ بن الحسين، قد جعل ابن زياد الغلّ في يديه ورَقَبَتِه، وحملهم على الأقتاب، فلم يكلّمهم عليّ بن الحسين في الطريق حتى بلغوا الشام، فدخل زَحْر ابن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا

إليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال، فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم، فجعلوا يهربون إلى غير وَزَر، ويلوذون بالإكام والحُفَر، كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله ما كان إلا جَزْرَ جَزور، أو نومةَ قائل، حتى أتينا على آخرهم! فهاتيك أجسادهم مجرَّدة، وثيابهم مرمَّلة، وخدودهم معفَّرة، تصهرُهُم الشمس، وتَسفي عليهم الريح، زُوَّارُهم العِقبان والرَّخَم بقيّ سَبْسَب. فدمعت عينا يزيد وقال: كنت أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية! أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! ولم يصله بشيء.

وقيل: إن ءال الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه: إن البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيرًا فهو الأمان. فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد. ثم جاء البريد بأمر يزيد بإرسالهم إليه، فدعا ابن زياد مُحَفِّز بن ثعلبة وشمر ابن ذي الجوشن وسيَّرهما بالثقل والرأس، فلما وصلوا إلى دمشق نادى محفِّز ابن ثعلبة على باب يزيد: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم! فقال يزيد: مَا وَلَدَتْ أُمُّ محفِّز ألأمَ وأحمق منه، ولكنه قاطع ظالم.

ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه، فَسَمِعَت الحديث هندُ بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وكانت تحبّ يزيدَ، فتقنَّعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فأعولي عليه وحدّي على ابن بنت رسول الله ﷺ وصريحة قريش، عجَّلَ عليه ابنُ زياد فقتله، قَتَلَهُ الله! ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكُتُ به ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام: [الطويل]

أبى قومُنا أن ينصفونا فأنصفت قواضبُ في أيمانِنا تقطر الدِّما
يفلِّقنَ هامًا من رجـالٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

فقال يزيد: والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك! فقال أبو برزة الأسلميّ: أتنكُت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذًا، لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد شفيعه! ثم قام فولّى. وقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم: [الطويل]

لهامٌ بجنْبِ الطَّفِّ أدنى قرابةً من ابنِ زيادِ العبدِ ذي الحسَبِ الوَغْلِ
سميةُ أمسى نسلُها عددَ الحصى وبنتُ رسـولِ اللهِ ليسَ لها نسْلُ

فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأُدْخِلوا عليه والناس ينظرون، وأُدْخِلَ عليٌّ مغلولًا فقال: لو رءانا رسول الله ﷺ مغلولين لفكّ عنا! قال: صدقت. وأمر بفك غلِّه عنه. فقال عليٌّ: لو رءانا رسول الله ﷺ بُعَداءَ لأحبَّ أن يقرِّبَنا. فأُمِرَ به فَقُرِّبَ منه، فقال يزيد لعليّ: يا عليّ، أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت! فقال عليّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[1]، فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه. فما درى خالد ما يردّ عليه، فقال له يزيد: قل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[2]، ثم سكت عنه، بعدها دعا بالنساء والصبيان فأُجْلِسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة من أثر السفر والقهر،

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

فقال: قبّح الله ابن مرجانة، لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا.

وقفة نساء الحسين في وجه الظالم

ثم أدخلت نساء الحسين على يزيد والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس. فلما رأين الرأس صحن، فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية. فقالت فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره. قالت: والله ما تُرِكَ لنا خُرْص. فقال: ما أتى إليكنَّ أعظم مما أخذ منكن. فقام رجل من أهل الشام فقال: هب لي هذه! يعني فاطمة، فأخذت بثياب أختها زينب، وكانت أكبر منها، فقالت زينب: كذبت ولؤمت، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبتِ والله، إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته. قالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا. فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك! قالت زينب: بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديتَ أنت وأبوك وجدك. قال: كذبتِ يا عدوة الله! قالت: أنت أمير مسلّط، تشتم ظالِمًا، وتقهر بسلطانك؟ فاستحى وسكت، ثم عاد الشاميُّ فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية! فقال: اغرُب، وهبَ اللهُ لك حتفًا قاضيًا! ثم أمر بالنسوة أن يُنْزلن في دار على حِدَة، معهنّ ما يصلحهنّ، وأخوهنّ معهنّ عليّ بن الحسين في الدار التي هنّ فيها. فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق من ءال معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثًا[1].

وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشّى إلا دعا عليَّ بن الحسين إليه، فدعاه ذات يوم ودعا عمرَ بن الحسن بن عليّ وهو غلام صغير، فقال لعمر بن الحسن: أتقاتل هذا

(١) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٣٩).

الفتى؟! يعني خالدًا ابنه. قال: لا، ولكن أعطِني سكينًا وأعطِه سكينًا ثم أقاتله! فأخذه يزيد وضمّه إليه ثم قال: «شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَم»[1]، «هل تلد الحية إلا حية؟».

وقيل: لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيرًا حتى بلغه بغضُ الناس له ولعنُهُم وسبُّهم، فنَدِمَ على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليَّ لو احتملتُ الأذى وأنزلت الحسين معي في داري، وحكَّمته فيما يريد؟ وإن كان عليَّ في ذلك وهنٌ في سلطاني حفظًا لرسول الله ﷺ، ورعاةً لحقّه وقرابته، لعن اللهُ ابنَ مرجانة فإنه اضطره، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك فقتله، فبغَّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولابن مرجانة؟! لعنه الله وغضب عليه!

موقف مشرّف لحارس نساء العترة النبوية

ولما أراد أن يسيِّرهم إلى المدينة المنورة، أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم ويسيّر معهم رجلًا أمينًا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة، ودعا عليًّا ليودِّعَه وقال له: لعن اللهُ ابن مرجانة! أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلةً أبدًا إلا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت. يا بني، كاتِبْني وانْهِ حاجةً تكون لك.

---

(١) تاج العروس، مادة ن ش ش: «النِّشْنَشة بالكسر: لغة في الشِّنْشَنة ما كانت، عن الليث. والنِّشْنِشة أيضًا: الحَجَر، ومنه قول عمر لابن عباس رضي الله تعالى عنهم حين سأله في شئ شاوره فيه، فأعجبه كلامه: نِشْنِشةٌ أعرفُها مِن أَخْشَن، قال أبو عبيد: هكذا حدّث به سفيان. وقال الأصمعيّ وأهل العربية: إنما هو: شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزمَ، قال ابن الأثير: أيْ حَجَرٌ مِن جبلٍ، ومعناه: أنه شبَّهه بأبيه العباس في شهامته، ورأيه وجرأتَه على القول، وقيل: أراد أنّ كلمتَه منه، حجرٌ من جبل، أي أن مثلها يجئ من مثله. وقال الحربيّ: أراد شنشنةً، أي غريزةً وطبيعة» اهـ. (١٧/ ٤١٣).

وكساهم وأوصى بهم هذا الرسول فخرج بهم، فكان يسايرهم ليلًا فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحَّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة. فقالت فاطمة بنت علي لأختها زينب: لقد أحسنَ هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا حُلِيّنا، فأخرجتا سوارَيْنِ ودُمْلُجين لها فبعثتاها إليه واعتذرتا، فردَّ الجميع وقال: لو كان الذي صنعتُ للدنيا لكان في هذا ما يرضيني، ولكن واللهِ ما فعلتُهُ إلا للهِ ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

وقبل أن تصل القافلة التي تقلّ أهل البيت إلى المدينة المنورة، أرسل زينُ العابدين مندوبًا عنه يخبر أهلها وينادي في الأسواق قائلًا: إن زين العابدين وعماته وبني عمومته قد قدموا إليكم.

وما إن أشرفت القافلة على المدينة حتى خرج أهلها باكين منتحبين لاستقبال ءال البيت، وقد تفطّرت قلوبهم حزنًا وجزعًا من هول ما حدث، إذ إن الفاجعة كانت أكبر من أن يتحمّلها أهل المدينة.

ورأت نساء ءال البيت هذه المظاهر الحزينة، فصرخت السيدة زينب والسيدة أم كلثوم وباقي النساء، وارتفع الصوت وأجهش الجميع بالبكاء وهم يرددون: واحسيناه، واحسيناه، واحبيباه، واحبيباه.

وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرىء القيس، وهي أم ابنته سكينة، وحُمِلَت إلى الشام فيمن حُمِلَ من أهله، ثم عادت إلى المدينة المنورة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حموًا بعد رسول الله ﷺ. وبقيت بعده سنة لم يظلّها سقفُ بيتٍ حتى بليت وماتت كمدًا رحمها الله تعالى، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفًا عليه.

ثم أرسل عبيدُ الله بن زياد مبشّرًا إلى المدينة بقتل الحسين إلى عمرو بن سعيد، فلقيه رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقال: الخبر عند الأمير. فقال القرشيّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتِلَ الحسين. ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال: ما

وراءك؟ قال: ما سَرَّ الأمير، قُتِلَ الحسينُ بن عليّ! فقال: نادِ بقتلِه، فنادى، فصاحت نساء بني هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرةً تلوي ثوبها وهي تقول: [البسيط]

ماذا تقولونَ إن قال النبيُّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأممِ

بعترتي وبأهلي بعدَ مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضُرِّجُوا بدمِ

ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رَحِمِي

فلما سمع عمرو أصواتهن ضحك وقال: [الكامل]

عجت نساء بني زيـادٍ عجةً ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنبِ

والأرنب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب. ثم قال عمرو: واعية كواعية عثمان بن عفان، ثم صَعِدَ المنبر فأعلم الناس قتله.

ولما بلغ عبدَ الله بنَ جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزّيه والناس يعزّونه، فقال مولاه أبو اللِّسلاس: هذا ما لقيناه من الحسين! فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللَّخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شَهِدْتُهُ لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتلَ معه، والله إنه لَمَّا يُسَخِّي بنفسي عنهما ويهوّن عليَّ المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابن عمي مواسِيَيْنِ له صابريْنِ معه. ثم قال: إن لم تكن ءاسَتِ الحسينَ يدي فقد ءاساهُ ولداي.

وانطلق الموكب حتى أناخ بباب مسجد رسول الله ﷺ، حيث يروى أن السيدة أم كلثوم وقفت أمام مقام جدّها تبكي وتقول: السلام عليك يا جدّاه، إني ناعية إليك ابنك الحسين.

ثم ساد المدينةَ كلَّها جوٌّ غائم بالأسى والحزن، وارتفعت في كلّ نواحيها صيحات السخط والاستنكار، ويروى أن السيدة أم سلمة رضي الله عنها زوجة النبيّ ﷺ حين أتاها نبأ استشهاد سيدنا الحسين، بكت وعلا نحيبها،

ودعت على القَتَلَة الفجّار قائلة: قد فعلوها! ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، ثم
وقعت مغشيًّا عليها.

ذكر أسماء من قتل مع الحسين

قال سليمان: لما قتل الحسين ومن معه حُمِلَت رؤوسهم إلى ابن زياد، فجاءت
كِندة بثلاثة عشر رأسًا، وصاحبُهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين
رأسًا، وصاحبُهم شمر بن ذي الجوشن الضبابيّ، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر
رأسًا، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر
الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأسًا.

وقُتِلَ الحسين ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، قتله سنان بن
أنس النَّخَعيّ لعنه الله، وقُتِلَ العباس بن عليّ، وأمه أم البنين بنت حزام، قتله زيد
ابن رُقاد الجَنبيّ وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسيّ. وقُتِلَ جعفر بن عليّ، وأمه أم البنين
أيضًا. وقُتِلَ عبد الله بن عليّ، وأمه أم البنين أيضًا. وقُتِلَ عثمان بن عليّ، وأمه أم
البنين أيضًا، رماه خوليّ بن يزيد بسهم فقتله. وقُتِلَ محمد بن عليّ، وأمه أم ولد،
قتله رجل من بني دارم. وقُتِلَ أبو بكر بن عليّ، وأمه ليلى بنت مسعود الدارمية،
وقد شُكَّ في قتله. وقُتِلَ عبدُ الله بن الحسين بن عليّ، وأمه الرباب ابنة امرئ القيس
الكلبيّ، قتله هانئ بن ثُبَيْت الحضرميّ. وقَتِلَ أبو بكرٍ ابن أخيه الحسن أيضًا، وأمه أم
ولد، قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم. وقُتِلَ القاسم بن الحسن أيضًا، قتله سعد
ابن عمرو بن نفيل الأزديّ. وقُتِلَ عون بن أبي جعفر بن أبي طالب، وأمه جُمانة بنت
المسيِّب بن نَجَبَة الفَزاريّ، قتله عبد الله بن قُطْبَة الطائيّ. وقُتِلَ محمد بن عبد الله بن
جعفر، وأمه الخوصاء بنت خَصَفَة بن تيم الله بن ثعلبة، قتله عامر بن نَهْشل التيميّ.
وقُتِلَ جعفر بن عقيل بن أبي طالب، وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب، قتله بشر
ابن حَوْط الهمدانيّ. وقُتِلَ عبد الرحمن بن عقيل، وأمه أم ولد، قتله عثمان بن خالد
الجُهَنِيّ. وقُتِلَ عبد الله بن عقيل، وأمه أم ولد، رماه عمرو بن صُبَيْح الصيداويّ

بسهم فقتله. وقُتِلَ مسلم بن عقيل بالكوفة، وأمه أم ولد. وقُتِلَ عبد الله بن مسلم ابن عقيل، وأمه رقية ابنة عليّ بن أبي طالب، قتله عمرو بن صُبَيْح الصيداوي، ويقال قتله مالك بن أسيد الحضرميّ. وقُتِلَ محمد بن أبي سعيد بن عقيل، وأمه أم ولد، قتله لقيط بن ياسر الجهنيّ، واستُصْغِرَ الحسن بن الحسن بن عليّ، وأمه خولة بنت منظور بن زبّان الفَزاريّ، واستصغر عمر بن الحسن، وأمه أم ولد، فلم يقتلا. وقُتِلَ من الموالي سليمان مولى الحسين، قتله سليمان بن عوف الحضرميّ، وقُتِلَ مُنْجِح مولى الحسين أيضًا، وقُتِلَ عبدُ الله بن بُقْطُر رضيع الإمام الحسين.

وعن الحسن البصري أنه قال[1]: قتل مع الحسين ستة عشر رجلًا كلهم من أهل بيته، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه. وفيهم يقول الشاعر[2]: [الخفيف]

واندبي تسعةً لصلْبِ عليّ	قد أصيبوا وستة لعقيلِ
وسميّ النبي غودر فيهم	قد علوه بصارم مصقولِ

---

(١) البداية والنهاية، (٨/ ٢٠٥).

(٢) مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم.

من العجائب التي حصلت بعد مقتل الإمام الشهيد الحسين

كان عمر الإمام الحسين يوم قتل ثمانيَ وخمسين سنة، وقيل غير هذا، وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة. ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع.

وروى الطبريُّ(1) عن عمرو بن عكرمة قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدّثنا قال: سمعت البارحة مناديًا ينادي وهو يقول: [الخفيف]

أيها القاتلون جهلًا حُسينًا	أبشروا بالعذابِ والتنكيلِ
كلُّ أهلِ السماءِ يدعو عليكم	مِنْ نبيٍّ وَمَلَاكٍ وَقَبِيلِ
قد لُعِنْتُمْ على لسانِ ابنِ داو	دَ وموسى وصاحبِ الإنجيلِ

ونقل عمرُ بن حيزوم الكلبيّ عن أبيه قال: سمعت هذا الصوت.

نبأ أنه سيُقْتَل في كربلاء ابن نبيّ

وقال الجالوت عن أبيه: ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، لأنّا كنا نتحدَّث أن ولد نبيٍّ يُقْتَلُ بذلك المكان، فكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قُتِلَ الحسين قلنا هذا الذي كنا نتحدّث، وكنت إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض.

وقال التيميّ تيم مرة يرثي الحسين وأهله وكان منقطعًا إلى بني هاشم: [الطويل]

---

(1) تاريخ الأمم والملوك، (٣/ ٣٤٢).

مــررتُ على أبيات آل محمدٍ	فلم أرهــا أمثالها يــوم حلتِ
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت من أهلها قد تخلتِ
وإن قتيل الطَّفّ من آل هاشمٍ	أذل رقــاب المسلمين فذلتِ
وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلتِ
وعند غنيّ قطرةٌ من دمائنا	سنجزيهم يومًا بها حيث حلتِ
إذا افتقرت قيسٌ جبرنا فقيرها	تقتلنا قيسٌ إذا النعل زلتِ

رؤيا ابن عباس رضي الله عنهما لمصرع الحسين في المنام

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رأيت النبيَّ ﷺ الليلةَ التي قُتِلَ فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دمًا. فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى. فأصبح ابن عباس فأعلم الناس بقتل الحسين وقصّ رؤياه، فَوُجِدَ قد قُتِلَ في ذلك اليوم[1].

أم سلمة رضي الله عنها وتحوّل تراب كربلاء إلى دماء

وروي أن النبيَّ ﷺ، أعطى أمَّ سلمة ترابًا من تربةِ الحسين حمله إليه جبرائيل[2]، فقال النبيّ ﷺ لأم سلمة: إذا صار هذا التراب دمًا فقد قُتِلَ الحسين. فحفظت أمُّ سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قُتِلَ الحسين صار التراب دمًا، فأعلمت الناس بقتله أيضًا. وهذا يستقيم على قول من يقول أم سلمة

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥١).
(٢) والثابت أنه ميكائيل ملك المطر.

توفيت بعد الحسين[1].

نوح الجنّ على الحسين عليه السلام

روى ابن كثير[2] عن كعب الأحبار ءاثارًا في كربلاء، أنه قد حكى أبو الجناب الكلبيّ وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على الحسين وهن يقلن: [مجزوء الكامل المرفّل]

مسحَ الرسولُ جبينَهُ فله بريقٌ في الخدودِ
أبواهُ من عليا قريشٍ (م) جدُّهُ خيرُ الجدودِ

وقد أجابهم بعض الناس فقال: [مجزوء الكامل المرفّل]

خرجوا به وفدًا إليـ ـهِ فهم له شرُّ الوفودِ
قتلوا ابنَ بنتِ نبيِّهم سكنوا به ذاتَ الخدودِ

وروى ابن كثير أيضًا[3]: «عن ابن عساكر أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوبا: [الوافر]

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحسابِ؟

فسألوهم: من كتب هذا؟ فقالوا: إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة.

وروي أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدمٍ هذا البيت: [الوافر]

---

(١) الكامل في التاريخ، (٢/ ١٨٤).
(٢) البداية والنهاية، (٨/ ٢١٧ – ٢١٨).
(٣) المرجع نفسه، (٨/ ٢١٨).

أتـرجـو أمـة قتلت حسينا شفاعة جـده يـوم الحسابِ؟

إسلام يهوديّ على رأس الحسين عليه السلام

حكى عبدُ الملك بن هشام أنّ ابن زياد لمّا أنفذ رأس الحسين رضي الله عنه إلى يزيد، كانوا إذا وصلوا منـزلًا أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له فوضعوه على رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل، فوصلوا منـزلًا فيه دير راهب، فأخرجوا الرأس ووضعوه على الرمح مسندًا إلى الدير، فرأى الراهب نورًا من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم، فسألهم عن الرأس، فقالوا رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال: نبيّكم؟ قالوا: نعم.

قال: فبئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا، ثم قال: هل لكم في عشرة ءالاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي الليلة؟! فإذا رحلتم خذوه.

فأخذ الرأس وغسله وطيّبه وأخذه وتركه على فخذه، وقعد يبكي إلى الصبح، وقال: أيها الرأس أنا لا أملك إلا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم خرج من الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلمّا قربوا من دمشق أخذوا الأكياس ليقتسموها ففتحوها، فإذا الدنانير قد تحوّلت خزفًا، وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، وعلى الجانب الآخر: «﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]»[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) رشفة الصادي، الحضرميّ، ٢٤٩. المشرع الرويّ، الشلّي، (١/ ٤٨).

رضى النبيّ في المنام على مكرم رأس الحسين

روي عن الحسن البصريّ رحمه الله قال: إن سليمان بن عبد الملك رأى النبيّ ﷺ في المنام يلاطفه ويبشّره، فلمّا أصبح سليمان سأل الحسنَ عن ذلك، فقال له الحسن: لعلّك صنعت إلى أهل بيت النبيّ ﷺ معروفًا؟ قال: نعم، وجدت رأس الحسين بن عليّ عليه السلام في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابي وقبرته، فقال له الحسن: إنَّ رضى النبيّ ﷺ بسبب ذلك، وأمر للحسن بجائزة سنية(١).

أثر قضاء حاجة ذرية الإمام عليّ رضي الله عنه

عن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال: كان بالكوفة رجل يكنّى أبا جعفر، وكان حسن المعاملة، وكان إذا أتاه أحد من العلوية (أي من ذرية سيدنا عليّ) يطلب ما عنده لا يمنعه، فإن كان معه ثمنه أخذه وإلا قال لغلامه: اكتب ثمن ما أخذه على عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فعاش كذلك زمانًا، ثم افتقر وجلس في بيته، وكان ينظر إلى دفاتره، فإن وجد فيهم حيًّا بعث مَنْ يقبضه، وإن وجده ميتًا ضرب على اسمه.

فبينما هو ذات يوم جالس على باب داره ينظر في ذلك الدفتر، إذ مرَّ به رجل فقال له - كالمستهزئ به -: ما فعل غريمك الكبير؟ يعني عليًّا رضي الله عنه، فاغتمّ الرجل لذلك ودخل بيته.

فلمّا كان الليل رأى النبيَّ ﷺ وكان الحسن والحسين يمشيان بين يديه، فقال لهما - أي الرسول -: **«ما فعل أبوكما؟»** فأجابه عليّ كرّم الله وجهه من ورائه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: **«ما لك لا تدفع إلى هذا حقّه؟»** فقال: يا رسول الله، هذا حقُّهُ قد جئت به، قال: فأعطِهِ.

---

(١) رشفة الصادي، ٢٥٠. نظم درر السمطين، الزرنديّ، (٢٢٦).

قال: فناولني كيسًا من صوف، وقال: هذا حقُّك، فقال لي رسول الله ﷺ: **«خذه، ولا تمنع من جاءك مِن ولدِهِ يطلب ما عندك، فامضِ لا فقرَ عليك بعد اليوم».**

قال: فانتبهتُ والكيس بيدي، فناديت امرأتي: أنائم أنا أم يقظان؟ فقالت: بل يقظان. قال: فأسرجتُ فناولتها الكيس، فإذا فيه ألف دينار. فقالت: يا رجل، اتقِ اللهَ، لا يكون الفقر حَمَلَكَ على أن خدعتَ بعض هؤلاء التجار، فأخذتَ ماله!

فقلت: لا والله، ولكن القصة كيت وكيت، فقالت: فإن كنتَ صادقًا فانظر في حساب عليّ بن أبي طالب! فدعا بالدفتر فلم يجد به لا قليلًا ولا كثيرًا مما كتب على عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه[١].

إسلام مجوسيّ بسبب إكرامه الذرية المحمدية

ذكر أبو الفرج بن الجوزيّ قال: كان ببلخ رجل من العلويين (أي مِن ذرية سيدنا عليّ رضي الله عنه) نازلًا بها، وكان له زوجة وبنات، فتوفّي الرجل.

قالت امرأته: فخرجتُ بالبنات إلى سمرقند خوفًا من شماتة الأعداء، فوصلت في شدّة البرد، فأدخلتُ البنات مسجدًا، ومضيت لأحتال (أي أفتش) لهنّ في القوت، فرأيت الناس مجتمعين على شيخ، فسألت عنه فقالوا: هذا شيخ البلد، فتقدّمت إليه وشرحتُ حالي له. فقال: أقيمي عندي البيّنة (أي الحجّة والدليل) أنك علوية؟! ولم يلتفت إليَّ! فيئست منه وعدت إلى المسجد.

فرأيت في طريقي شيخًا جالسًا على دكّة وحوله جماعة، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: ضامن البلد وهو مجوسيّ، فقلت: عسى أن يكون عنده فرج! فتقدّمت إليه وحدّثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد وأن بناتي في المسجد ما لهم شيء يقتاتون به. فصاح بخادم له فخرج، فقال المجوسيّ: قل لسيدتك تلبس ثيابها،

---

(١) رشفة الصادي، (٢٥٢). جواهر العقدين، السمهوديّ، (٣٦١)، الباب ١٢. غرر البهاء الضويّ، باعلويّ، (٤٩٢).

فدخل وخرجت امرأته معها جوارٍ، فقال لها: اذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلانيّ واحملي بناتها إلى الدار، فجاءت معي وحملت البنات وقد أُفْرِدَ لنا دار في داره، وأَدْخَلَنا الحمّامَ وكسانا ثيابًا فاخرة، ومال علينا بألوان الأطعمة وبتنا بأطيب ليلة، فلمّا كان نصف الليل رأى شيخُ البلد المسلم في منامه كأنّ القيامة قد قامت، واللواء على رأس محمد ﷺ، وإذا قصر من الزبرجد الأخضر، فقال: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل مسلم موحِّد!

فتقدّم إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله تعرض عنّي وأنا رجل مسلم؟ فقال له: «**أقم البيّنة عندي أنك مسلم؟!**» فتحيَّر الرجل في المنام. فقال رسول الله ﷺ: «**نسيت ما قلته للعلوية بالأمس؟ وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره** - أي أنه سيسلم -». فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي، وبثّ غلمانه في البلد وخرج بنفسه يفتش عن العلوية، فأُخْبِرَ أنها في دار المجوسيّ، فجاء إليه، فقال: أين العلوية؟!

قال: عندي. قال: إني أريدها! قال: ما إلى هذا سبيل! قال: هذه ألف دينار وسلّمهنّ إليَّ! قال: لا والله ولا بمائة ألف دينار!!

فلمّا ألحّ عليه قال: المنام الذي رأيتَهُ أنتَ رأيتُهُ أنا! والقصر الذي رأيتَه لي خُلِقَ، واللهِ ما بتُّ ولا أحد في داري إلا وقد أسلمنا كلنا على يد العلوية، وقد عادت بركتها علينا، ورأيتُ رسول الله ﷺ فقال لي: «**القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية**»[1].

---

(١) رشفة الصادي، (٢٥٧ - ٢٥٨). تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزيّ، (٣٣٠). ذيل الكتاب.

أثر إكرام الأشراف أي المنسوبين للنبيّ الأعظم ﷺ

نقل ابن خلكان عن بعض المجاميع: أن أبا دلف العجليّ لمّا مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول إليه فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام فقال لحاجبه: مَنْ بالباب من المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف قدموا من خراسان، ولهم بالباب عدّة أيام، فاستدعاهم فرحّب بهم وسألهم عن قدومهم.

فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأخرج عشرين كيسًا في كل كيس ألف دينار، ودفع لكل واحد كيسين، ثم أعطى لكلّ واحد مؤنة طريقه وقال: لا تفتشوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم، واصرفوا ذلك في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب لي كلّ واحد منكم بخطه: أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر جدّته فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم يكتب: يا رسول الله -ﷺ- إني وجدت إضاقة فقصدت أبا دلف العجليّ فأعطاني ألفي دينار كرامة لك، وطلبًا لمرضاتك، ورجاء شفاعتك.

فكتبوا وتسلّم الأوراق وأوصى من يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه حتى يلقى بها رسول الله ﷺ ويعرضها عليه[1].

قال الحضرميّ صاحب كتاب رشفة الصادي: أرجو من كرم الله لأبي دلف العجليّ الخير بما فعله.

عناية الله بالحامي لأعراض الأشراف كرامة لجدّهم المصطفى

نقل المسعوديّ في كتابه «مروج الذهب» عن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وكان على شرطة بغداد: أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول له: أطلق

(١) رشفة الصادي، (٢٥٩).

القاتل، فانتبه مرعوبًا، وسأل أصحابه فقالوا: عندنا رجل اتُّهِمَ بقتل فأحضره، فلما جيء به قال له: أصدقني الحديث.

فقال: أنا أخبرك، نحن جماعة نجتمع على المحرمات كلّ ليلة، فلمّا كان بالأمس جاءت امرأة عجوز كانت تختلف إلينا تجلب لنا النساء، فَدَخَلَتِ الدّار ومعها جارية بارعة الجمال، فلمّا دخلت الدار ورأت ما نحن عليه، صاحت صيحة وأُغْمِيَ عليها! فأدخلتها بيتًا (أي غرفة)، فلمّا أفاقت سألتها عن حالها، فقالت: يا فتيان، الله الله فيَّ (أي اتقوا اللهَ فيَّ)، فإن هذه العجوز غرّتني وأخبرتني أن عندها حُقًّا (أي صندوقًا للثياب) ليس في الدنيا مثله، وشوّقتني إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها ثقةً بقولها لأنظر فيه، فَهَجَمت بي عليكم، فأنا شريفة وجدّي رسول الله ﷺ وأمّي فاطمة فاحفظوهم فيَّ.

فخرجتُ إلى أصحابي وعرّفتهم حالها وقلت: لا تتعرّضوا لها! فكأني أغريتهم، فقاموا فقالوا: لّما قضيتَ حاجتك منها صرفتنا عنها! فقمتُ دونها (أي لحمايتها) وقلت: واللهِ ما يصل أحد منكم عليها وأنا حيّ! فتفاقم الأمر إلى أن نالني جراح، وعمدت إلى أشدّهم حرصًا على ذلك فقتلته، ثم حاميتُ عنها إلى أن خلّصتها، وأخرجتها وهي تقول: سترك الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي.

وسمع الجيرانُ الصيحة فاجتمعوا ودخلوا الدار والسكين في يدي والرجل مقتول، فجاؤوا بي إلى الشرطيّ في تلك الحال.

فقال له إسحاق: قد وهبتك لله ورسوله ولحفظ المرأة، وتاب الرجل وحسنت توبته[1].

أثر التصدّق في عاشوراء

ذكر الإمام الحريفيش في كتابه «الروض الفائق» قال: قيل إنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له: عطية بن خلف، وكان من أهل الثروة، ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر به عورته.

(١) رشفة الصادي، (٢٧١). مروج الذهب، المسعوديّ، (٢/ ٣٧٥).

فلمّا كان يوم عاشوراء صلّى الصبح في جامع عمرو بن العاص، وكان من عادة هذا الجامع أن لا تدخله النساء إلا في يوم عاشوراء لأجل الدعاء، فوقف يدعو مع جملة النّاس، وهو بمعزل عن النساء، فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام، فقالت: يا سيدي، سألتك بالله إلا ما فرّجت عني وآثرتني بشيء أستعين به على قوت هؤلاء الأطفال، فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئًا، وأنا شريفة لا أعرف أحدًا أقصده، وما خرجت إلا عن ضرورة أحوجتني إلى بذل وجهي وليس لي عادة بذلك.

فقال الرجل في نفسه: أنا لا أملك شيئًا وليس عندي غير هذا الثوب، وإن خلعته انكشفت عورتي، وإن رددتها فأي عذر لي عند رسول الله ﷺ؟ فقال لها: اذهبي معي حتى أعطيك شيئًا. فذهبت معه إلى منـزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه وائتزر بإزار قديم كان عنده، ثم ناولها الثوب من شقّ الباب.

فقالت: ألبسك الله من حلل الجنة، ولا أحوجك باقي عمرك، ففرح بدعائها ودخل البيت وأغلق الباب وجلس يذكر الله إلى الليل، ثم نام فرأى في المنام حوراء لم يرَ الراؤون أحسن منها، وبيدها تفاحة قد عطّرت ما بين السماء والأرض، فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلّة من حلل الجنة لا تقوم بها الدنيا وما فيها، فألبسته الحلّة وجلست في حجره، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: أنا عاشوراء، زوجتك في الجنة، قال: بمَ نلتُ ذلك؟ قالت: بدعوة تلك العلوية المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس.

فانتبه وعنده من السرور ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، وقد عبق المكان بالطيب، فتوضّأ وصلّى ركعتين شكرًا لله عزَّ وجلَّ، ثم رفع طرفه إلى السماء قبلة الدعوات ومهبط الرحمات وليست مسكن الرب لأن الله لا مكان له وقال: اللهم إن كان منامي حقًّا وهذه زوجتي في الجنة فاقبضني إليك، فما استتمّ الكلام حتى عجّل الله بروحه إلى دار السلام[1]. فالدّعاء وافق مشيئة الله تبارك وتعالى، ومعلومٌ أنّه لكلّ أجلٍ كتاب فإذا جاء الأجل لا يتقدّم ولا يتأخّر.

---

(١) الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الحريفيش، (ص/ ١٦٧).

تعجيل الانتقام لقَتَلَة الحسين وما نزل بهم من البلاء

قال ابن كثير[1]: «ليعلم أن أكثر ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَن قتله صحيح، فإنه قلَّ مَن نجا من أولئك الذين قتلوه من ءافة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون.

دخول الحية في منخري ابن زياد

ولقد انتقم الله عزَّ وجلَّ من ابن زياد على يد المختار بن أبي عبيد[2]، وكان

---

(١) البداية والنهاية، (٨/ ٢٢٠).

(٢) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ (ت ٦٧هـ)، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ. من أهل الطائف. انتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر، وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعًا إلى بني هاشم. وتزوّج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخت المختار وهي صفية بنت أبي عبيد، ثم كان مع عليّ رضي الله عنه بالعراق، وسكن البصرة بعد عليّ. ولما قُتل الإمام الحسين رضي الله عنه سنة ٦١هـ انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه، ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطائف. ولما مات يزيد بن معاوية (سنة ٦٤) وقام عبد الله ابن الزبير في المدينة بطلب الخلافة، ذهب إليه المختار، وعاهده وشهد معه بداية حرب الحصين ابن نمير، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعتهن فوثق به، وأرسله، ووصى عليه. غير أنه كان أكبر همه منذ دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا الحسين وقتلوه، فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، وقال: إنه استخلفه، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سرًّا، فخرج بهم على والي الكوفة عبد الله بن مطيع، فغلب عليها واستولى على الموصل، وعظم شأنه. وتتبع قتلة الحسين، فقتل منهم شمر بن ذي الجوشن الذي باشر قتل الحسين، وخوليّ بن يزيد الذي سار برأسه إلى الكوفة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذي حاربه. وأرسل إبراهيم بن الأشتر في عسكر كثيف إلى عبيد الله بن زياد، الذي جهز الجيش لحرب الحسين، فقتل ابن زياد، وقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة. وعمل مصعب بن الزبير، وهو أمير البصرة بالنيابة عن أخيه عبد الله، على خضد - أي قطع - شوكة المختار، فقاتله، ونشبت وقائع انتهت بحصر المختار في قصر - الكوفة، وقتله ومن كان معه. ومدة إمارته ستة عشر شهرًا. وفي (الإصابة) وهو من غريب المصادفات: ان عبد الملك بن عمر ذكر أنه رأى عبيد الله بن زياد وقد جيء إليه برأس الحسين، ثم رأى المختار وقد جيء إليه برأس=

ابن زياد بالموصل، وذلك بعد تطاول الفتن وترادفها، وكان في ثلاثين ألفًا، فبعث المختار إلى إبراهيم بن الأشتر في طائفة سنة تسع وستين، فالتقى بابن زياد فقتله على الفرات في يوم عاشوراء، وكان مَن غرق من أصحابه أكثر ممن قُتِلَ، وبعث ابنُ الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار، فَنُصِبَ في المكان الذي نَصَبَ فيه رأس الحسين رضي الله عنه، ثم ألقاه وأصحابه في اليوم التالي في الرحبة، فجاءت حية تتخلّل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا، وكان في ذلك عبرة لأولي الألباب[1].

رجل كثّر سواد الناس على الحسين فعمي

قال ابن الجوزيّ[2]: «قال الحذاء بن رباح القاضي: رأيت رجلًا مكفوفًا قد شهد قتل الحسين، وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره؟ فكان يقول: شهدت قتل الحسين، ولكنّي لم أضرب بسيف ولم أرمِ بسهم، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني ءاتٍ في منامي فقال لي: أجب رسول الله ﷺ، فقلت: ما لي وله! فأخذني وجذبني جذبة شديدة وانطلق بي إليه، فإذا رسول الله ﷺ جالسًا في المحراب مغتمًّا حاسرًا عن ذراعيه ءاخذًا بخده، وبين يديه نطع ومَلَك قائم بين يديه، وبين يدي المَلَك سيف من نار، وكان لي تسعة من الأصحاب، فقتل أصحابي التسعة كلما ضرب المَلَك أحدًا التهبت نفسه نارًا، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات، فدنوت من النبيّ ﷺ وحبوت إليه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله،

= عبيد الله بن زياد، ثم رأى مصعب بن الزبير وقد جيء إليه برأس المختار، ثم رأى عبد الملك بن مروان وقد حُمِل إليه رأس مصعب. **الأعلام**، ٧/ ١٩٢.

(١) سنن الترمذيّ، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، (٥/ ٦٦٠)، رقم (٣٧٨٠). المعجم الكبير، الطبرانيّ، (٣/ ١١٢ - ١١٣)، رقم (٢٨٣٢).

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٢). رشفة الصادي، (٢٤٨).

والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال لي: «صدقت، ولكن كثّرت السواد، ادن مني» فدنوت منه فإذا طشت مملوء دمًا من دماء الحسين فكحّلني من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئًا» اهـ.

لم يشارك في القتل ولكن جلب الحديد فنال ما نال

وأورد ابن الجوزيّ أيضًا حكاية عن قَتَلَة الحسين، فقال[1]: «قال الفضل بن الزبير: كنت قاعدًا عند السديّ، فجاءه رجل فجلس إليه، فإذا منه ريح قطران! فقال له السديّ: أتبيع قطرانًا؟ فقال: لا، قال له: ما هذه الرائحة؟ قال: شهدت عسكر عمر بن سعد، فكنت أبيع منهم الحديد، فلما قُتِلَ الحسين يوم عاشوراء بتّ في العسكر فرأيت رسول الله ﷺ في النوم والحسين وعليٌّ معهم وهو يسقي الماء مَنْ قُتِلَ من أصحاب الحسين، فاستسقيته فأبى أن يسقِيَنِي، فقال لي: ألست ممن أعان علينا؟ فقلت: بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد. فقال لعليّ: اسقه قطرانًا! فناولني قدحًا فشربت منه، فكنت ثلاثة أيام أبول القطران، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة عليَّ» اهـ.

مشارك في قتل الحسين مات محترقًا

قال ابن الجوزيّ أيضًا[2]: «وحكي أن رجلًا ممن شهد قَتْلَ الحسين يوم عاشوراء - أي شارك في قتله - قال على وجه الاستخفاف: ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب ببلاء! وإني حضرت يوم قتله ولم يصبني بلاء ولا شيء! وكان ضيفًا عند قوم، فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل نارًا ومات على المكان.

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٢).
(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٣).

براءة أهل السنة والجماعة
من مقتل الإمام الحسين الشهيد رضي الله عنه

قال ابن الجوزيّ[1]: يوم عاشوراء وقتل الحسين: فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذي يذمّون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس لقتل الحسين رضي الله عنه فيه، وهذه غاية السخافة في الجهالة وفي معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ، ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء، ولولا البغي والعداوة لعدّوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذ استشهد في مثل هذا اليوم الشريف، كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله أو يعد من مناقبه، فكذا سيدنا الحسين رضي الله عنه. هذا ورسولُ الله ﷺ أخبره أحد الملائكة بقتله» اهـ.

وقال ابن كثير[2]: «وقد تأول عليه من قتله أنه - أي أنّ الحسين - جاء ليفرّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه، وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأوّلوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان ينبغي عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذُمَّت طائفة من الجبارين تُذَمّ الأمةُ كلها بكمالها وتُتَّهم على نبيها ﷺ؟ فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأمة قديمًا وحديثًا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة» اهـ.

إن منزلة الأئمة الأطهار عليّ والحسن والحسين رضوان الله عليهم منزلة عالية

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٠ - ٢٥١).
(٢) البداية والنهاية، (٨/ ٢٢٠).

جدًّا عند أهل السنة والجماعة، فعليّ من الخلفاء الراشدين، والحسنان الكريمان هما سيدا شباب أهل الجنة. فحبنا لعليّ وأبنائه وأهل بيت النبيّ ﷺ وكافة الصحابة الكرام هو نابع من قلوبنا، يفرحنا ما يفرحهم، ويحزننا ما يحزنهم، ولكننا لا نرفع منزلتهم لغاية الكفر، ولا نبخس حق أحد منهم.

ومن إتمام الكلام عن مكانة ءال بيت رسول الله ﷺ عندنا معشر أهل السنة والجماعة نشير إلى بيان موقف أهل الحقّ من النواصب، أي الذين عادوا سيدنا عليًّا رضي الله عنه، لأنهم ناصبوا له العداء. وهذا أصل التسمية فكل من أبغض ءال البيت فهو من النواصب. وقد عَصَمَ الله أهل السُّنَّة، فكانوا على الوسط الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لهم، فأَحَبُّوا ءال البيت، ووالوا ءال البيت، ولم يُنزلوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله تبارك وتعالى فيها، فعصمهم الله رب العالمين باتِّباع النبي ﷺ من الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء معًا.

وكلام علماء الإسلام صريح وواضح في الثناء على الإمام عليّ وبنيه، وعقيدتنا أننا نشهد بأنهم في جنات النعيم، وهذا ظاهر ولله الحمد.

ونشير هنا إلى موقف أهل السنة وبراءتهم من النواصب الكارهين لعليّ، ومن قتل الإمام الحسين الشهيد وهذه مسألة مهمة جدًّا، لأنها من أسباب الفرقة والاختلاف في الأمة، وتوجد طائفة من المستفيدين والمنتفعين بهذه الفرقة تتحدث بما يشعل الفرقة ويزيدها في كل مناسبة، بل وبدون مناسبة، بكل كلام يشعل نارها وهذا الكلام من البهتان والزور والكذب المحض.

فنجد منهم مَن يتهم أهل السنة بكراهية ءال البيت، ويطلق للسانه العنان في اختلاق الكذب، وإذا لم يفترِ شيئًا جديدًا من الافتراءات تراه يكرر ويردد الروايات والقصص الخيالية عن بغض أهل السنة للإمـام علـيّ. وأهل السنة يروون الأحاديث الكثيرة في فضائله، فلا تجد كتابًا في الحديث إلا وفيه ذكر فضائل الإمام عليّ ومناقبه الكريمة.

ولنعد إلى الفاجعة الدموية التي تعدّ من أكبر الفجائع التي أُصيب بها قلب

الأمة المحمدية وكيانها، وجرت على أيدي أناس من جلدتها ويدينون بدين نبيّها، ولكن، لم يتقوا الله تعالى في حفيد هذا النبيّ الكريم، فمالت بهم أهواؤهم إلى الهاوية المقيتة، فخسروا عزّ الدنيا وفاتهم عزّ الآخرة.

إذ إن مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه من الحوادث العظيمة، وذكراه موجعة، وإن كان حديثه يحزن كلّ مسلم، ويسخط كلّ عاقل، لأنه لِمَا ظهر من فسق يزيد بن معاوية، واستهتاره بالفواحش، وظلمه وتهاونه بالدين، رأى الحسين عليه السلام أن يخرج للإصلاح في أمة جده المصطفى عليه الصّلاة والسّلام.

وقد أدى استشهاده رضي الله عنه في العاشر من محرم سنة إحدى وستين هـ إلى فتن عظيمة في تاريخ الأمة وحاضرها، إذ تحول الخلاف السياسيّ بين أبنائها، إلى انقسام عقائديّ وطائفيّ، أدخلها في صراعات عبر التاريخ أدت إلى قتل ملايين المسلمين.

وسبب هذا التحول هو إصرار فئة من الناس على تحميل أهل السنة جميعًا مسئولية قتل الحسين الشهيد، والجهر بسب الصحابة الكرام الذين هم نَقَلَة الدين وحراسه ومَنْ نشروه في مشارق الأرض ومغاربها، والتذكير المستمر بهذه الحادثة الأليمة، وإحيائها في كل سنة بطقوس تثير النفوس والأحقاد بين أبناء الأمة الواحدة. ولو كان حب الإسلام هو الذي يدفعهم إلى إحياء ذكرى استشهاده باللطم والبكاء والسب واللعن، لفعلوا ذلك في ذكرى استشهاد أبيه سيدنا عليّ، وزوج أخته سيدنا عمر، وزوج خالته سيدنا عثمان رضي الله عنهم جميعًا، وهم أفضل من الحسين الإمام، لكنها الفتنة التي لا تخدم إلا أعداء المسلمين، ولا تحقق إلا أهدافهم في فرقة الأمة.

إنها فاجعة كبيرة، ولكن الأكبر منها أن يحاول البعض تفتيت الأمة المحمدية، ولن تتفتت بوجود أصحاب العقول النيّرة، والنفوس الكبيرة، الذين يزينون بحكم الشرع كلّ خاطر، فلا يؤججون النفوس لمآرب خاصة، بل يسعون لجمع الكلمة على الحق وأهله.

روى الإمام أحمد رحمه الله: «عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال: قلت لرسول الله ﷺ: أيّ الناس أشد بلاءً؟ فقال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُليَ على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»[1]. فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام، ماذا حصل له من قومه وفي بلده العراق؟ ألقَوْهُ في النار ولكنَّ الله سلَّمهُ وحفظهُ. ماذا حصل لسيدنا نوح ﷺ؟ كان يُضرب حتى يُغْمَى عليه. ماذا حصل لسيدنا موسى عليه السلام من بني إسرائيل؟ وماذا حصل ليحيى الذي ذبح ذبحًا بالسكين؟ والذي نُشِرَ والدهُ النبي زكريا عليه السلام بالمنشار؟ فهذه سُنةُ الله في الدعاةِ لدينه، فلو راجعنا وذاكرنا سير الأنبياء والأولياء نجد هذا.

وهذا سيدنا عمرُ بن الخطاب أميرُ المؤمنين رضي الله عنه يُقتل قتلًا، وهذا سيدنا عثمان بن عفان عليه رضوان الله صِهرُ النبّي محمّد زوج ابنتيه (تزوج الثانية بعدما ماتت الأولى)، يُقتلُ قتلاً أيضًا، وهذا أمير المؤمنين عليّ بابُ مدينة العلم رضي الله عنه وأرضاه وخَتَنُ النبيّ على ابنتِهِ الزهراء الطاهرة البتول، يُقْتَلُ وهو خارجٌ لصلاةِ الفجر على يدِ الخوارجِ لعنهُمُ الله، وهذا ابنُ الزبير ماذا فُعِلَ به؟ وهذا الحسن الذي قُتِلَ مسمومًا، وهذا الحسين الذي قُتِلَ في كربلاء وحصلَ في يوم مقتَلِهِ العجائب.

قُتِلَ الحسينُ رضي الله عنه وأرضاه في كربلاء على يدِ طُغْمَةٍ من الظَلمةِ الفاسقين، الفاجرين، وهؤلاء الذين قتلوا الحسين ليسوا من عِباد الله المتقين، ولا نُحبهم، ولا نغار عليهم، بل هم فَسقة فَجرة.

فالحسين خرج لنصرة الحق والدفاع عن الدين، خرج لمواجهة الباطل والمنكر، الحسين ما كان منتحرًا، الحسين رضي الله عنه عَمِلَ بحديث رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطانٍ جائر**»[2].

في تلك المعركة التي ارتكب الخُبثاء فيها من الفواحش والمنكرات العجائب،

---

(١) مسند أحمد، (١/ ١٨٥)، رقم (١٦٠٧).

(٢) سنن أبي داود، (٤/ ٢١٧)، رقم (٤٣٤٦). سنن الترمذيّ، (٤/ ٤٧١)، رقم (٢١٧٤).

منعوه أن يستقي قطرة ماء من النهر لأولاده، لطفله الرضيع، للصبيان، للبنات، للنساء، هؤلاء ذرية النبيّ ﷺ، هؤلاء أحبابُ الله، أحباب الرسول، هؤلاء أولاد النبيّ، أولاد بنته الطاهرة، مُنعوا من أن يشربوا الماء، مُنِعَ الحسينُ من أن يَسْتَقِيَ لهم ولو قطرة، وهو الذي نبع الماءُ من بين أصابع جدهِ المصطفى ﷺ، مثَّلوا به، حزّوا رأسه الشريف المبارك، قتلوا طفله الرضيع بين يديه بسهمٍ أصابوه في حلقِهِ.

لقد جمعُوا في ظُلْم الحسين مالم يَجْمعْهُ أحد
وَمَنَعُوهُ أَنْ يَرِدَ المَاءَ فيمَن وَرَد
وَأَنْ يَرْحَلَ عَنْهُمْ إلى بَلَدْ
وَسَبَوْا أَهْلَهُ وَقَتلوا الوَلَدْ

فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، ومن علماء الصحابة الكرام، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًّا، وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه ابن ماجه وأحمد عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ، فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا، وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ»[1]. قال المناوي في شرح الحديث: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ» أي بشيءٍ يؤذيه في نفسه أو أهله أو ماله «فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ» تلك «فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا» أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون، «وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا» جملة معترضة بين الشرط وجوابه «كَتَبَ اللهُ» أي قدر أوامر الملائكة أن يكتبوا «لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ» لأن الاسترجاع[2] اعتراف من العبد بالتسليم وإذعان للثبات وحفظ الجوارح. اهـ

---

(١) مسند أحمد، (١/ ٢٠١)، رقم (١٧٣٤). سنن ابن ماجه، (٢/ ٥٣٢)، رقم (١٦٠٠).

(٢) أي لأن الاسترجاع عبادة وكلما جددها يُكتب له ثوابها، والاسترجاع معناه أن يقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، (٢/ ٧٧٤).

مما قيل في مراثي الإمام الحسين الشهيد رضي الله عنه

الرّباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبيّ زوجة الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وهي أم سكينة بنت الحسين. وهي التي يقول فيها الحسين: [الوافر]

لعمرك إنـني لأحـب دارًا ... تكون بها سكينة والـربـابُ

أحبـهـما وأبـذل جـل مـالي ... وليس لعاتب عندي عتابُ

وكانت الرباب من أفضل النساء وأجملهن وخيارهن. خُطِبَتْ بعد قتل الحسين فقالت: ما كنت لأتخذ حموًا بعد رسول الله ﷺ.

وقالت ترثي الحسين: [البسيط]

إن الذي كان نورًا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غـير مدفونِ

سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازينِ

قد كنت لي جبلاً صعبًا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدينِ

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكينِ

واللهِ لا أبتغي صهرًا بصهركم ... حتى أُغَيَّبَ بين الرمل والطينِ

وقال منصور النمريّ: [المنسرح]

ويلك يا قاتل الحسين لقد ... بـؤت بحملٍ ينوء بالحاملْ

أي حـبـاء حـبـوت أحـمـد في ... حفرته مـن حـرارة الثاكلْ

تعال فاطلب غـدًا شفاعته ... وانهض فرد حوضه مع الناهلْ

ما الشك عندي بحال قاتله ... لكنني قـد أشـك بـالخـاذلْ

كـأنـما أنـت تـعـجـبـين ألا　　　تنزل بالقوم نقمة العاجلْ

لا يعجل الله إن عجلت وما　　　ربـك عـما تـريـن بالغافلْ

ما حصلت لامـرئ سعادته　　　حقت عليه عقوبة الآجـلْ

وقال الشريف المرتضى: [الرمل]

كـربـلا لا زلـتِ كـربًـا وبلا　　　ما لقى عندك أهل المصطفى

كـم عـلى تـربِـك لمَّـا صُرعـوا　　　من دم سال ومن دمع جرى

يـا رسـولَ الله لـو أبصرتهم　　　وهمـو مـا بـين قـتـل وسبا

من رميض يُمنع الظلّ ومن　　　عاطش يُسقى أنابيب القنا

جـزِروا جزر الأضاحي نسلُهُ　　　ثم ساقوا أهله سـوق الإما

هـاتـفـات بـرسـول الله في　　　شـدّة الخوف وعثرات الخُطا

قـتـلـوهُ بـعـدَ عـلـم منهمو　　　أنـه خامس أصحابِ الكِسا

لـيـس هــذا لـرسـول الله يا　　　أمـة الطغيانِ والبغيِ جَزا

العظات والعبر من مقتل الحسين الشهيد رضي الله عنه

كما أن حياة الحسين منار المهتدين، فاستشهاده عظة المعتبرين، وقدوة المستبسلين.

ألم ترَ كيف اضطرّه الإصلاح إلى مواجهة الطغاة، وهو أعظم رجل في زمانه في العترة المحمدية.

وأبت نفسه الكريمة الضيم والرضوخ للظلم، واختار الشرف على الذلّة، فكان كما قال فيه أبو نصر بن نباتة: [الخفيف]

والحسين الذي رأى الموتَ في العزّ (م) حياةً والعيش في الـذلِّ قتلا

ومع التفاوت العدديّ والعتاديّ الذي بلغ أقصى ما يُتصوَّر بين فئة قليلة وجيش ابن زياد، قد كان ثباته ورباطة جأشِه وشجاعته تحيِّر الألباب، كما كانت دناءة أخصامه ظاهرة للعيان.

وما أبشع وأفظع ضرب ابن مرجانة بقضيب ثغرَ ابن بنت رسول الله ﷺ، ورأسه بين يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام يلثمه.

ومن ءاثار العدل الإلهيّ قتل عبيد الله بن زياد يومَ عاشوراء كما قُتِلَ الحسين رضي الله عنه يوم عاشوراء، وأن يُبعث برأسه إلى عليّ بن الحسين كما بَعَثَ برأس الحسين إلى ابن زياد.

وهل أُمْهِلَ يزيد بن معاوية بعد الحسين إلا ثلاث سنين أو أقلّ، فقد روى الطبريّ في تاريخه عن هشام بن محمد الكلبيّ أنه وليَ سنتين وثمانية أشهر.

وأي موعظة أبلغ من أنَّ كلَّ من اشترك في دم الحسين اقتصّ الله تعالى منه فقُتِلَ أو نُكِب.

وأي عبرة لأولي الأبصار أعظم من كون الضريح المنسوب للحسين معظَّمًا،

وقبر يزيد بن معاوية مزبلة أو مبولة.

وتأمل عناية الله بالبيت النبويّ الكريم فيُقتل أبناء الحسين ولا يُترك منهم إلا صبيّ مريض مشرف على الهلاك، فيبارك الله في أولاده فيكثر عددهم ويعظم شأنهم.

ومقتل الحسين بغَّض بني أمية إلى الناس وأيَّد حجة خصومهم وزعزع أوتاد ملكهم، وكان أكبر أسباب زوال دولتهم.

ولو قُدِّرت ولاية الإمام الحسين لكان خيرًا للأمة في حكومتها وحياتها، وأخلاقها وجهادها، وشتّان ما بين السبط الزكيّ الذكيّ، والظالم الكبير يزيد القرود والطنابير، وهل يستوي الفاسق الجائر والعادل الإمام؟ وأين الذهب من الرغام؟

ولكن قدَّر الله وما شاء فعل، وإذا أراد الله أمرًا فلا مردّ له.

ومن العظات البالغات أن يبقى أثر جهاد الحسين على ممر العصور والدهور كلّما أرهقَ الناسَ الظلمُ تذكرة لمن ندب نفسه لخدمة الأمة، فلم يحجم عن بذل الغالي والنفيس متى كانت فيه مصلحة أحوالها.

دعاء الختام

مما دعا به ابن الجوزيّ في عاشوراء قوله[1]:

«اللهم كما تبت على ءادم في عاشوراء فتب علينا، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجّنا، وكما رفعت إدريس مكانًا عليًّا فارفعنا، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك، وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل، واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل.

اللهم أهلك أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى في اليم.

اللهم نجّنا من طوفان الشهوات والهوى، وأنزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا.

اللهم اكشف الضر عنا والبلوى، وردّ علينا أبصار القلوب بعد التحيّر والعمى.

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء، وردّ علينا ما فات منّا من طيبات التقى.

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخّر، وما أعلنّا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا مقيل عثرة العاثرين، ويا أرحم الراحمين، أجب دعاءنا، ولا تحرمنا خير ما عندك بشرّ ما عندنا.

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك، ووجدناك كريما فدعوناك، ولقيناك رحيمًا فسألناك.

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية، لا تحرمنا

---

(1) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/ ٢٥٦ - ٢٥٨).

المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة.

اللهم سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا، وارحم عند الموت صرعتنا، وءانس في اللحود وحشتنا، وارحم بين يديك ذلّ موقفنا، واغفر لنا ما خفي على الناس من أعمالنا.

اللهم ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، واحفظنا واحفظ علينا ما رزقتنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا، ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطانًا ولا سبيلًا يا أرحم الراحمين.

اللهم يسرّنا لليسرى وجنّبنا للعسرى.

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطاياك رزقًا طيبًا مباركًا فيه.

اللهم اهدنا للهدى، وقوّنا على التقوى، واغفر لنا مغفرة في الدنيا والأخرى.

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا همًّا إلا فرّجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا غائبًا إلا أدنيته، ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها.

اللهم أدّ دَيْن المدينين، وفرّج عن المهمومين والمكروبين، واكتب سلامة المسافرين في البر والبحر أجمعين.

اللهم إن نواصينا في يدك[(١)]، وقلوبنا في قبضتك[(٢)]، تعلم منقلبنا ومثوانا وسِرّنا ونجوانا، إليك مردّنا ومصيرنا، أنت فوق العباد بعزتك، أنت الخالق ونحن المخلوقون، وأنت المالك ونحن المملوكون، أنت الرب ونحن العبيد، أنت الغنيّ ونحن الفقراء، اسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا، فإن ذلك عليك يسير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على

---

(١) و(٢) أي تحت مشيئتك تفعل بنا ما تشاء وليس بمعنى الجارحة.

سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى ءاله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وكان الفراغ من هذه الرسالة في التاسع والعشرين من شهر رمضان ١٤٣٤هـ المبارك الموافق السابع من آب ٢٠١٣م؛ في مدينة بيروت المحمية - المكتبة الاشعرية العبدرية.

مُعتَقدُ ءَالِ البَيتِ النَبوي الشرِيف

عقيدة أهل الحق قاطبةً

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

تنزيه الله عن المكان

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان».

وقال أيضا:

«إن الله خلق العرش إظهارا لقدرته ولم يتخذه مكانا لذاته».

قال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير الحسيني رضي الله عنه:

«غـاية المعـرفـة بالله الإيقـان بوجـوده تعـالى بـلا كيف ولا مكـان».

قال الشيخ محمد عثمان الميرغني المكي الحنفي الحسيني:

«وليـس تعالى بجوهر ولا جسـم ولا عرض ولا متحرك ولا ساكن، ولا يوصف تعالى بالصغر ولا بالكِبَرِ، ولا بالفوقية ولا بالتحتية، ولا بالحلول في الأمكنة ولا بالاتحاد ولا بالاتصال ولا بالانفصال، ولا باليمين ولا بالشـمال ولا بالخلف ولا بالأمام، ولا بغير ذلك من صفات الحوادث».

الــــردة

قال الشيخ الفقيه محمد بن عابدين الحسيني الدمشقي صاحب الحاشية:

«قال ابن سـحنون المالكي: أجمع المسلمون على أن شاتمه ـ أي شاتم النبي ـ كافر».

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الحوت الحسيني نقيب السادة الأشراف في ولاية بيروت:

«من الأشـياء المكفرة الرضا بالكفر والاستخفاف باسم من أسـمائه أم أمْره أو وعده أو وعيده أو السـخرية بالشريعة أو حكم من أحكامها أو شتم ملك الموت أو ملكا من الملائكة أو نبيا من الأنبياء، أو شـتم دين الإسلام. ومن أحكام الردة أن من وقع في الكفر مازحا كان أو غاضبا خرج من الإسلام ولا يعود إليه إلا بالشهادتين».

تنزيه الله عن الحد والجهة

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود».

قال الإمام علي زين العابدين السّجّاد ابن الإمام السبط الشهيد الحسين رضي الله عنهما:

«أنت الله سـبحانك لا يحويك مكان، لست بمحدود فتُحَد، لا تُحسّ ولا تُمسّ ولا تُجسّ».

قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه:

«من زعم أن الله في شــيء أو من شــيء أو على شــيء فقد أشرك, إذ لـو كان في شــيء لكان محصــورا، ولو كان على شــيء لكان محمولا، ولو كان من شــيء لكان محدثا ـ أي مخلوقا».

قال الإمام بهاء الدين محمد مهدي الرواس الصيادي الحسيني:

«ليس كمثله شيء لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السمٰوات».

قال الحافظ الفقيه اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني في شرح إحياء علوم الدين:

«ومن قدَّر الله بمقدار كفر».

قال الإمام العارف بالله السيد عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه:

«ولا يجــوز عليــه الحــدود ولا النهايــة ولا القَبــل ولا البَعــد ولاتحــت ولا قُــدّام ولاخلــف ولا كيف لأن جميــع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرنا من أنه على العرش استوى على ما ورد بــه القرءان والأخبار بل هو عزّ وجلّ خالق لجميع الجهات ولا يجوز عليه الجهة».

أول الواجبات

قال المحدث الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي الحسيني:

«**فاعلم أنه يجب على كل مكلف معرفته تعالى لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فالمعرفة فرض عين على كل مكلف وهو البالغ العاقل**».

قال الشيخ رامز بن محمود الملك الحسيني الطرابلسي:

«**إن تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين أفضل عمل يقوم به العبد, وقد اعتنى به العلماء سلفًا وخلفًا.**

مخالفته للحوادث:

قال الشيخ تقي الدين الحصني الحسيني الدمشقي:

«**تقدس وتبارك عن مشابهة العبيد، وتنزه عن صفات الحدوث، فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطل ما ثبت من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومحيد، وكلا القسمين سفيه وشقي وغير رشيد، ومن ورائهما عذاب شديد**».

قال الشيخ السيد الشريف حسين الجسر الطرابلسي رضي الله عنه:

«**ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنه تعالى ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه، لأن الاحتياج إلى المكان من خواص الجواهر والأجسام. وثبت هناك أنه تعالى ليس عرضا فلا يحتاج إلى محل يحل فيه ويقوم به كما تحتاج الأعراض كالألوان والطعوم**».

قال الشيخ المحدث عبد اللطيف فتح الله الحسني مفتي بيروت:

«قد ثبت بالدليلين النقلي والعقلي مخالفته تعالى للحوادث. فالنقلي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وغير ذلك من الأدلة النقلية والعقلية ذكرها أهل الكلام».

توحيد الله تعالى

قال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير الحسيني رضي الله عنه:

«التوحيد وجدان عظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه».

كلام الله تعالى

قال محدث بيروت الشيخ محمد بن درويش الحوت الحسيني:

«وكلامه تعالى النفسي قديم كسائر صفاته وأسمائه، وهو منزه عن الحروف والأصوات والمخارج والألفاظ واللغات وجميع صفات الحروف لأن القديم لا يتصف بصفة الحوادث».

نفي الكيفية عن الله تعالى:

قال الشيخ عبد الفتاح الزعبي الحسني نقيب السادة الأشراف في طرابلس الشام:

«كيف يحيط العقل بمن تقدس عن الكمية والكيفية والأينية، فنزهوا ربكم عن الخواطر الفكرية».

قال المحدث الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي الحسيني:

«إن الله تعالى ليس بنار ولا ضوء ولا روح ولا ريح ولا جسم ولا عرض ولا يتصف بمكان ولا زمان ولا هيئة ولا حركة ولا سكون ولا قيام ولا قعود ولا جهة ولا بعلو ولا بسفل ولا بكونه فوق العالم أو تحته، ولا يقال كيف هو ولا أين هو».

تنزيه الله عن الجسمية والشكل

قال الشيخ عبد القادر الأدهمي الحسيني الطرابلسي:

«وهو تعالى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له، ولا يشبه شيئا من الحوادث ولا يشبهه شيء منها، ولا يحتاج إلى مكان ومحل، ولا يغيره زمان».

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي في تفسير القيوم:

«منزه عن التحيز والحلول مبرّأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحق به الأفهام».

قال الإمام العارف بالله السيد عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه:

«واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا شبيه ولا نظير ولا عون ولا شريك ولا ظهير ولا وزير ولا ند وليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس ولا عرض فيقضى ولا ذي تركيب أو ءالة وتأليف وماهية وتحديد».

قال الحبيب الإمام عبد الله بن علوي الحداد الحسيني الحضرمي:

«ومعتقد أهل السنة أنه لا يكون كائن صغير ولا كبير إلا بقضاء الله ومشيئته وإرادته وقدرته، وأن العباد وأفعالهم خيرها وشرها خلق الله تعالى».

قال الحافظ الفقيه اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني:

«لم يتوقف علماء ما وراء النهر في تكفير المعتزلة».

ثبت المصادر والمراجع

- **القرءان الكريم**
- **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، عبد الحيّ اللكنويّ، دار الكتب العلمية، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس، الزركلي الدمشقيّ، تحقيق: محمد محمد، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢.
- **أعيان العصر وأعوان النصر**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مجير الدين الحنبليّ العليميّ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عُمان، د.ط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ، تحقيق عليّ شري، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.
- **بستان الواعظين ورياض السامعين**، عبد الرحمن بن عليّ المعروف بابن الجوزيّ، تحقيق أيمن البحيريّ، مؤسسة الكتب الثقافة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزبيديّ، الملقب بمرتضى، تحقيق عليّ شري، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٩٤. ونسخة أخرى: تحقيق عبد المنعم إبراهيم، وكريم محمود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٧.
- **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون المغربيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، عبد الرحمن بن حسن الجبرتيّ، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة، يوسف بن قرة أوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقيّ الأندلسيّ، تحقيق يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة - قطر، د.ط، ١٤٠٥هـ.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة، عليّ بن محمد بن العراق الكنانيّ، تحقيق عبد الله بن محمد بن الصديق الغماريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
- جامع البيان في تفسير القرءان (تفسير الطبريّ)، محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الجامع لأحكام القرءان (تفسير القرطبيّ)، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجيّ الأندلسيّ القرطبيّ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.
- الجامع الصحيح (صحيح البخاريّ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ، د.ط، د.ت.
- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ، دار الكتب العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
- جواهر العقدين، عليّ بن عبد الله بن أحمد الحسنيّ السمهوديّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبيّ الهادي، أبو بكر شهاب الدين العلويّ الحضرميّ، تحقيق عليّ عاشور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الروض الأنف في شرح غريب السير، عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ، الجمالية، د.ط، ١٣٣٢هـ.
- الروض الفائق في المواعظ والرقائق، شعيب بن عبد الله بن سعد بن عبد الكافي

المعروف بالحريفيش، العثمانية، مصر، د.ط، ١٣٢٠هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، ما يسمى المكتب الإسلاميّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الزهد**، أحمد بن حنبل الشيبانيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ السجستانيّ، دار إحياء التراث العربيّ، د.ط، د.ت.
- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزوينيّ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- **سنن الترمذيّ**، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السُّلَمِيّ الترمذيّ، تحقيق: محمد شاكر وءاخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- **السنن الكبرى**، أحمد بن عليّ بن شعيب النَّسائيّ، تحقيق حسن عبد المنعم حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
- **السير في الأخبار والأحداث**، إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري، مخطوطة في خزانة القرويين بفاس رقم ٣٠٦٢.
- **سير أعلام النبلاء**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤.
- **شرح معاني الآثار**، أحمد بن محمد بن سلامة المصريّ الطحاويّ، تحقيق محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- **غرر البهاء الضويّ في ذكر العلماء من بني جديد وبصري وعلويّ**، محمد بن عليّ ابن علويّ بن محمد باعلويّ، مصر، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الفتوح**، أحمد بن محمد بن عليّ بن أعثم الكوفيّ، مخطوطة.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن عليّ زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروزءاباديّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الكامل في التاريخ**، عليّ بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، المعروف بعزّ الدين بن الأثير، دار صادر، د.ط، د.ت.
- **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، جلال الدين السيوطيّ، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، محمد بن حبان التميميّ البستيّ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفيّ، بيروت، مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٨٩.
- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مروج الذهب**، عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مستدرك الحاكم (المستدرك على الصحيحين)**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **المشرع الرويّ**، أبو بكر بن أحمد بن علوي الشليّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسيّ الكوفيّ، تحقيق محمد عوامة، ما يسمى الدار السلفية الهندية القديمة، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، دار صادر، د.ط، ١٩٨٦.

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ الطبرانيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الموضوعات**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الموطأ**، مالك بن أنس الأصبحيّ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، مصر، د.ط، د.ت.
- **نظم درر السمطين في مناقب السبطين**، محمد بن يوسف بن الحسن الزرنديّ، مصورات النجف. وفي طوبقابي - تركيا، ٢/ ٢٣١.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويريّ، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الفهرس

تصويبات في كتب للمؤلف

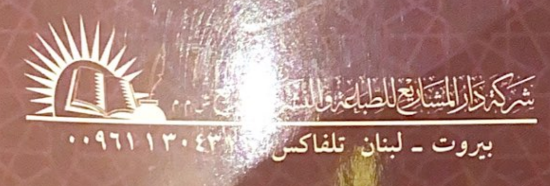
اسم الكتاب	الطبعة	السنة	الصحيفة	السطر	المكتوب سابقًا	الصواب
المنهج المبارك	الأولى	٢٠١٥	٣٢	١٤ إلى ١٧	وقد أخرج...بلا مكان	تحذف كلها
السهم السديد	الأولى	٢٠١٤	٨٤	١ إلى ٩	اعلم ...العبادة	تحذف كلها
السهم السديد	الأولى	٢٠١٤	٨٧	٥ إلى ١٧	وملخص ... الاعتقاد	تحذف كلها
الارتواء من أخبار عاشوراء	الأولى	٢٠١٣	٢١	٣ من أسفل	فإن تك لك فيهم حاجة فاهدهم	فإن تك (تريد أن تهديهم فاهدهم)
القمر الساري	الأولى	٢٠١٣	١٢٠	١٦ إلى ٢٠	الصواب... والله أعلم	تحذف كلها
إتحاف المسلم ج٢	الأولى	٢٠١٤	٨٨	١٣ إلى ١٦	الصواب... والله أعلم	تحذف كلها
جواهر الأئمة	الأولى	٢٠١٤	١٠٦	٩	والثاني استعانة بغيره	تحذف كلها

طبع شركة دار المشاريع

إنّ كتابًا عن سيدنا الحسين: عن فضل الحسين، وحب الحسين، ومناقب الحسين، وبطولة الحسين، واستشهاد الحسين رضي الله عنه، لهو حريٌّ أن يكتب بمدادٍ من ماء العيون، آه... لو كانت!! ولأسعفتِ المُقَلَ في نظم لآلئه حبّاتُ قلوبٍ تفطَّرنَ حزنًا وإشفاقًا عليه ... أوليس هو بضعة المختار؟! أوليس هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

هي ذي عاشوراءُ: لَمْعةُ السِّرِ في دُجى التاريخ، وقِبلةُ العِبَرِ في كُبْرَيات المَشَاهد والمواقف التي تزدان بها أسرار النبوّة في سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، منذ نجاة سفينة سيدنا نوح، وكشف الضُّرِّ عن سيدنا أيوب، ونجاة خليل الرحمٰن إبراهيم من نار النمروذ، وهلاك عدو الله فرعون وانفلاق ماء اليَمّ لسيدنا موسى الكليم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى دارت نَوْبَةُ الدهرِ ونُوَبُهُ في أرض الطَّفِ مِن كربلاء، فأبكت قلوبَ المؤمنين؛ في حدثٍ جللٍ مشهود، في ذلك اليوم التاريخي الفضيل: يوم عاشوراء.

وكتابنا ذا: الارتواء من أخبار عاشوراء و دمع العين على استشهاد الإمام الحسين هو مِن ميراث الأكابر قبسٌ يهدي إلى سيرة السادات ومناقب العظماء، وعذبُ سَلْسَالٍ يَروي مُهج الشوق إلى أخبار حبيبٍ شهيدٍ بكت عليه الأرض والسماء، كيف لا وهو سَيّدُ شباب أهل الجنة، النور الثاقب والليث الغالب وقرة العين سيدي أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب قدس الله سره.



www.dmcpublisher.com

